جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

اتهام الأنبياء والصالحين
"دراسة قرآنية"

إعداد
عبد الله حسن أحمد عياش

إشراف
د. محسن الخالدي

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أُصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.

2017م

اتهام الأنبياء والصالحين
"دراسة قرآنية"

إعداد

عبد الله حسن أحمد عياش

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 17 / 12 /2017م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
1.د. محسن الخالدي / مشرفاً ورئيساً.	....
2.د. يونس محمود ياسين / ممتحنا خارجياً.	....
3.د. حسين النقيب / ممتحنا داخلياً.	....

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى كل مسلم متهم بريء في مشارق الأرض ومغاربها، وأخص بالذكر أصحاب أعظم وأشرف تهمة في التاريخ ألا وهي الإيمان بالله ونصرة دينه والعمل في سبيل إعلاء كلمته، إلى أولئك الذين يُسجنون ويُظلمون ويُضطهدون لا لشيء ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾[الحج: 40] ﴿إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٨﴾[البروج:8]. إلى تلك الصفوة المختارة أُهدي هذا الجهد المقل، سائلا المولى –عز وجل– أن يرد كيد الكائدين ويجعل الدائرة على المجرمين، وأن يُعز دينه وينصر أولياءه ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ٥١﴾[الإسراء:51].

شكر وتقدير

أتقدم بأسمى آيات الشكر والتقدير إلى كل من ساندني فوقف إلى جانبي أو دعا لي في ظهر الغيب لإتمام هذه الرسالة؛ وأخص بالذكر شيخي وأستاذي فضيلة الدكتور محسن الخالدي المشرف على هذه الرسالة، الذي رأيت منه عمق النظر ودقة الفهم وسعة الاطلاع، مع ما حباه الله به من خلق كريم وأدب رفيع ولطف ولين، فزودني بالتوجيهات الرشيدة والملاحظات المفيدة فجزاه الله خير ما جزى معلما وشيخا.

وأشكر أعضاء لجنة المناقشة على تكرمهم بقراءة هذه الرسالة ومناقشتها وإفادتها من علمهم وفهمهم، السادة الأفاضل:

1. فضيلة الدكتور: حسين النقيب، مناقشا داخليا.

2. فضيلة الدكتور: يونس محمود صادق ياسين، مناقشا خارجيا.

وأشكر كذلك أبي وأمي، اللذين لهما الفضل –بعد الله– بوجودي، مع ما بذلاه من جهد طوال مسيرتي، وحسبي من ذلك دعاؤهما الذي كنت أستشعر نفحاته في كل خطوة ومهمة ومرحلة، فأسأل الله لهما الثبات والسداد وحسن الختام.

ولا أنسى زوجتي شريكة عمري وتوأم روحي "أم حمزة"، لما تحملته من كثرة غيابي وشدة انشغالي، فما كنت أرى منها إلا الصبر والاحتمال والتشجيع، والدعاء بالتوفيق والتمام، فجزاها الله خيرا.

الإقرار

أنا الموقع أدناه، مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

اتهام الأنبياء والصالحين

"دراسة قرآنية"

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة كاملة، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أي درجة أو لقب علمي أو بحث لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	عبد الله حسن أحمد عياش	**اسم الطالب:**
Signature:	عبد الله عياش	**التوقيع:**
Date:	17/12/2017	**التاريخ:**

فَهرَسُ المُحْتَوَياتِ

اتهام الأنبياء والصالحين

"دراسة قرآنية"

إعداد

عبد الله حسن أحمد عياش

إشراف

د. محسن الخالدي

الملخص

تناولت هذه الدراسة موضوع التهم الموجهة إلى الأنبياء والصالحين.

وقد بدأت الدراسة بتعريف التهمة لغة واصطلاحا، ثم بيان الألفاظ ذات الصلة وهي التي عبر القرآن بها عن التهمة كالإفك والبهتان والرمي. فلفظ التهمة وجذرها لم يردا في القرآن الكريم. وبعد ذلك يأتي الكلام عن تصنيف التهم، وهي ثلاثة أنواع: تهم أخلاقية، وتهم فكرية، وتهمة جسدية.

وقد ذكرت الدراسة التهم الواردة في القرآن الكريم، وهي ثمانية عشر تهمة: كالكفر، والضلال، والزنا والسرقة، والكذب، والكهانة، والجنون... إلخ. وبينَتْ من نُسبت له ومن نَسبها، والأسباب والدوافع لتوجيهها، ثم الإجابة عنها إما بالقرآن أو السنة أو المنطق العقلي أو الواقع المشاهد.

واعتنت الدراسة ببيان مدى خطورة التهم حيث تمتاز بسرعة انتشارها، وكثرة تصديقها وقبولها عند الناس، ثم تحدثت عن التأثير السلبي للتهم على الدعاة إلى الله، لما فيها من طعن فيهم وتجريح لشخصياتهم، وبعدها يأتي الكلام عن تأثير التهم على الدعوة إلى الله، حيث تكون سببا في ابتعاد كثير من المصدقين لها عن الدين وأهله.

وبينت الدراسة أن منهج القرآن في التعامل مع التهم هو الاحتراز منها قبل وقوعها لمنع حدوثها، ثم الأمر بالصبر والاستعانة بالصلاة والذكر في حال وقوعها، ثم أهمية الرد عليها وتفنيدها ليظهر وجه الحق، فالسكوت عنها نوع إقرار عند كثير من الناس.

وأوضحت الدراسة أن الاتهام هو نوع من البلاء الذي يصيب المؤمنين في شتى العصور وخاصة الدعاة إلى الله منهم، وهو الذي يرفعهم إلى المقامات العالية عند الله، وبينت أن التهم الموجهة للمؤمنين متشابهة في القديم والحديث رغم اختلاف الزمان والحال، وذلك لاتفاق الدافع عليها وهو الطغيان. وفي الختام يأتي الكلام عن حال التهم في ظل العصر الحديث وكيف قويت أدواتها وزادت وسائلها وبات خطرها أكبر مما سبق، وأنها واحدة من أقوى الأسلحة التي يُحارب بها الإسلام، وهذا يفرض على المسلمين التصدي لها وتسخير أدوات العصر في سبيل دحضها وتبرئة الإسلام منها.

مقدمة:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾[الفاتحة: 2-4]. خَصَّنا بخير كتاب أُنزل، وأكرمنا بخير نبي أُرسل، ومَنّ علينا بشرع محكم متين ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾[فصلت: 42]. والصّلاة والسّلام على النّبيّ الأطهر، صاحبِ الوجه الأنور والجبينِ الأزهر، وعلى آله وصحبه خيرِ أهل ومعشر، وبعد:

إنّ من أسمى مقاصد الشّريعة الإسلامية إقامة العدل والقسط بين النّاس، لأجل هذا أرسل الله الرّسل وأنزل الكتب، قال الله سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾[الحديد: 25]. وبناء على ذلك، وفي سبيل تحقيق هذا الأمر المهم، قرر علماؤنا عددا من القواعد، منها: "الأصل براءة الذمّة"[1]. فالإنسان بريء ما لم تثبت إدانته، واتّهامه وتجريمه بلا داع أو دليل من أفظع الجرائم. وهذه الدّراسة تُعنى بهذه القضية الأساسيّة في حياة الإنسان، لا سيّما أن اتّهام الأبرياء من الناس عامّة ومن حملة لواء هذا الدّين خاصّة أمر نراه بكثرة في كلّ عصر ومِصر، وكتاب ربّنا سبحانه جعله الله ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[النحل: 89]، وهذه محاولة متواضعة نستنطق فيها كتاب ربّنا في موضوع "اتّهام الأنبياء والصالحين"، خاصّة أنّه يزخر بقصصهم وأخبارهم على اختلاف أزمانهم وأعصارهم، من لدن نوح –عليه السلام– إلى محمّدﷺ، ما أرسل الله رسولا إلا اتُّهم، قال الله سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝٥٢﴾[الذاريات: 52]، كما اتُّهم أتباعهم من المؤمنين الصّالحين، وغيرهم من المهديين المخلَصين؛ فنتعرف في هذه الدراسة على ما أُلصق بهم من تُهم، وكيف كانت أحوالهم معها، لنقتدي ونأتسي بهم، استجابة لأمر ربنا حيث قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[الأنعام: 90].

[1] انظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ): **الأشباه والنظائر**. ط1. (بيروت: دار الكتب العلمية) 1411هـ-1990م. (ج1 ص53).

أهمّية الدّراسة:

تستمدّ الدّراسة أهمّيتها من النقاط الآتية:

- أنّها تُعالج قضية أساسية وهي اتّهام الأبرياء، وهذا من باب العدل الذي أمر الله به في كتابه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[النحل: 90].

- كونها تطرح قضيّة واقعيّة منتشرة بكثرة، والحديث عن الواقع هو ما تحتاجه الأمّة في هذا الوقت وفي كل وقت.

- إنّ الأمّة اليوم تعيش ظرفا عصيبا، فالأعداء قد تكالبوا عليها وحاربوها بالسّنان واللسان، وهي في أمسّ الحاجة إلى ما يثبتها. وذِكرُ الأنبياء والصالحين في القرآن وما مرّوا به يحقق هذا، قال الله سبحانه: ﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ﴾[هود: 120].

أسباب اختيار الموضوع:

سبب اختياري هذا الموضوع هو رغبتي بالعناية بالقرآن وخدمته، ثم لأمر آخر وهو: رؤية الأبرياء من الدعاة خاصة في قفص الاتهام، وهو ظلم تأنف وتمشئزّ منه النفوس السويّة والضمائر الحيّة. فمن أجل نيل مرضاة الله سبحانه أوّلا، ثم حقّ الأخوّة لكل مسلم متّهم بريء ثانيا، ثم لأجل الإنسانيّة كلّها وفي سبيل إيقاظ ضميرها، خُضت غمار هذا الموضوع، لأبرز للأمّة نظرة القرآن الكليّة إلى التّهم الموجهّة إلى الأنبياء والصالحين، ما بين حديث عن تأثيرها وخطورتها، إلى بيان كيفيّة التعامل معها.

الدراسات السابقة:

لقد بحثت عن دراسات وبحوث في موضوع هذه الدراسة:

الأول: موسوعة بيان الإسلام الرد على الافتراءات والشبهات، تأليف نخبة من العلماء. تقع في أربعة وعشرين مجلدا، طبعة دار نهضة مصر للنشر.

تطرح الموسوعة مئات الشبهات حول مواضيع الإسلام المختلفة: شبهات حول القرآن، والعقيدة، والحديث، وشبهات حول النبي ﷺ وزوجاته وأصحابه، وشبهات تاريخية، وشبهات حول العبادات والمعاملات والاقتصاد والمرأة والجهاد، وغير ذلك من موضوعات، ثم تذكر الرد عليها. وقد جاء في المجلد التاسع والعاشر: شبهات حول الأنبياء والرسل، وبعد الاطلاع عليها تبين أنها تتناول اتهام الأنبياء بالكفر والسحر والسرقة فقط؛ مما يشترك مع هذه الدراسة. وشبهات أخرى كثيرة في غالبها من عقائد أهل الكتاب.

فنستطيع القول أن موضوع دراستي مختلف عن مضمون هذه الموسوعة؛ فدراستي تعالج التهم التي جاءت في القرآن على لسان المعاندين، والموجهة إلى الأنبياء والصالحين، وقد وصلت إلى ثماني عشرة تهمة. فهي أخصّ من الموسوعة في مجالات الشبهات والتهم، وأوسع منها في جانب التهم المذكورة في القرآن حكاية عن أعداء المرسلين والمؤمنين.

الثاني: الابتلاءات المعنوية والحسية للأنبياء والرسل وأثرها في الدعوة؛ وهي دراسة لنيل درجة الدكتوراه من جامعة أم درمان الإسلامية –السودان–، من إعداد: زين العابدين خضر صالح البشير، عام 2009. تتحدث الدراسة عن الابتلاءات المعنوية والحسية للأنبياء والرسل وأثرها الدعوي. فالباحث من خلال هذه الرسالة يتعرض بالتقصي والبحث والاستنتاج لهذه الابتلاءات؛ سواء أكانت معنوية أو حسية، ويبين أثرها الدعوي؛ فهذه الدراسة تتقاطع مع دراستي في الفصل الثالث فقط.

منهج الدراسة:

لقد سلكت في دراستي هذه المنهج الاستقرائي التحليلي، فتتبّعت آيات القرآن التي تحدّثت عن اتهام الأبرياء أو أشارت إلى ذلك، مع بيان أقوال العلماء وأئمّة التفسير فيها، ثم نظمتها في نسق بما رأيت أنه أنسب للفهم. وعند كل تهمة ذكرت من اتُّهم بها، وسبب التُّهمة، ثم الرد عليها.

وتطرّقت إلى بعض الأحاديث والآثار التي تخدم الموضوع، فتُعِين على فهم النص وتزيده بيانا كما هو شأن السنة مع القرآن، مع عزو الحديث إلى مظانّه من كتب الحديث، وبيان درجته، دون التوسع في هذا المجال، لأنّ الدراسة قرآنيّة.

حدود الدراسة:

حدود هذه الدراسة هي التُّهم الموجّهة إلى الأنبياء والصالحين، ولفظ "التُّهم" خرج به الألفاظ التي قُصد بها مجرد الانتقاص، كإخبار الله عن مقالة المنافقين: ﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ ﴾[البقرة:13]، ومقالة قوم نوح –عليه السلام–: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴾[الشعراء:111]. ولا تتطرق الدراسة إلى ما سوى الأنبياء والصالحين، سواء علا أو نزل، فلا تُعنى الدراسة بالتُّهم الموجّهة إلى الذات الإلهية كقول اليهود: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ ﴾[المائدة: 64]، وكقول الكافرين إذا فعلوا فاحشة: ﴿وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ ﴾[الأعراف: 28]، وفي المقابل لا تُعنى بالتهم الموجهة إلى الكافرين، كقول الله سبحانه: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ ﴾[البقرة: 113]، وقوله سبحانه: ﴿قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا ﴾[الأعراف: 38]، وقوله: ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[سبأ: 31]، ولا تُعنى كذلك بالتهم الموجهة إلى الدواب، كما في قول الله تعالى: ﴿وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَـٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ ﴾[يوسف: 17].

أهداف الدراسة:

- الكشف عن نظرة القرآن الكلية حول اتهام الأنبياء والصالحين.
- تسلية لكل مسلم متهم بريء، بذكر الأنبياء والصالحين ممن ابتُلوا بذلك.
- بيان تأثير التهم على الأمة وكيفية التعامل معها.

- بيان أنّ التهم من الابتلاءات التي تصيب الأمة الإسلاميّة وهي مستمرّة إلى يوم القيامة، تبعا لاستمرارية الحق والباطل.

خطة الدراسة:

جاءت الدراسة في مقدمة وخمسة فصول وخاتمة على النحو الآتي:

الفصل الأول: مفهوم التهمة والألفاظ ذات الصلة

المبحث الأول: مفهوم التهمة

المبحث الثاني: الألفاظ ذات الصلة

الفصل الثاني: التهم الموجهة إلى الأنبياء والصالحين

المبحث الأول: التهم الفكرية

المطلب الأول: التهمة بالكفر

المطلب الثاني: التهمة بالسحر

المطلب الثالث: التهمة بالجنون

المطلب الرابع: التهمة بالكهانة

المطلب الخامس: التهمة بالضلال

المطلب السادس: التهمة بالشعر

المطلب السابع: التهمة بالسذاجة

المبحث الثاني: التهم الأخلاقية

المطلب الأول: التهمة بازنا

الفصل الأول

تعريف التهمة وبيان أنواعها

المبحث الأول: مفهوم التهمة

المبحث الثاني: الألفاظ ذات الصلة

المبحث الأول

مفهوم التهمة

التهمة في اللغة: فُعلة من الوهم، والتاء بدل من الواو[1]. والتهمة: الظن. واتهمته: ظننت فيه ما نسب إليه. والجمع: تُهم[2]. ومع كون الظن يحتمل الظن الحسن والظن القبيح؛ إلا أن التهمة عند الإطلاق يراد بها المعنى الثاني، ومنه قول النبي ﷺ: "أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ"[3]، فكلمة التهمة في الحديث جاءت مطلقة، وهي تعني القدح بدلالة السياق، وهو ما نفاه النبي ﷺ عن أصحابه لحسن ظنه فيهم.

والتهمة في الاصطلاح: الخصلة من المكروه تُظن بالإنسان[4]، فلا يخرج المعنى الاصطلاحي للتهمة عن المعنى اللغوي. فمعنى الكلمة لغة واصطلاحا يدور في فلك الظن الذي ينزل عن درجة اليقين، ويكون فيه نسبة نقص إلى الإنسان على وجه القدح والذم.

---

[1] انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم (ت 711هـ): **لسان العرب**. ط3. (بيروت: دار صادر). 1414هـ. (ج12 ص644).

[2] انظر: المرجع السابق: (ج12 ص644).

[3] مسلم، مسلم بن الحجاج (ت 261هـ): **صحيح مسلم**. 5 مج. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (بيروت: إحياء التراث العربي). كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر. (ج4 ص2075). ح2701.

[4] انظر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: **الموسوعة الفقهية**. ط1. (الكويت: مطابع دار الصفوة). 1416هـ-1995م. (ج35 ص342).

المبحث الثاني

الألفاظ ذات الصلة

لم ترد كلمة التهمة ولا أصلها في القرآن الكريم[1]، ولكن جاءت بعض الألفاظ التي تقاربها في المعنى، وهي: البهتان، الإفك، الرمي.

1) البهتان: قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾[النور: 16]، وقال تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾[النساء: 156]، والبهتان هو الكذب[2]، والمقصود به اتهام المرء بما ليس فيه، قال الخليل: "بهت: بهته فلان، أي: استقبله بأمر قذفه به وهو بريء منه"[3].

2) الإفك: وهو في الأصل يعني القلب[4]، ومنه قول الله عن قوم لوط: ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ﴾[الحاقة: 9]، يعني: المنقلبات، حيث كان عذابهم قَلْبَ ديارهم[5]، وقد جاءت كلمة الإفك في الآيات التي نزلت في براءة عائشة –رضي الله عنها–، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾[النور: 11]. قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: إن الذين جاءوا بالكذب والبهتان"[6]. فهي هنا بمعنى قلب الحقائق، أي: الكذب.

---

[1] انظر: عبد الباقي، محمّد فؤاد (ت 1388هـ): **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**. (القاهرة: دار الحديث). 1422هـ–2001م. (ص857).

[2] انظر: ابن فارس، أحمد (ت 395هـ): **معجم مقاييس اللغة**. 2 مج. ط2. (بيروت: دار الكتب العلمية). 1429هـ–2008م. (ج1 ص159). وانظر: الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق (ت 1205هـ): **تاج العروس**. (دار الهداية). (ج4 ص452).

[3] الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت 170هـ): **العين**. تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. (دار ومكتبة الهلال). (ج4، ص35). وانظر: ابن منظور: **لسان العرب**. (ج2، ص12)

[4] انظر: ابن فارس: **معجم مقاييس اللغة**. (ج1، ص65)

[5] انظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ): **جامع البيان في تأويل القرآن**. 24 مج. تحقيق: أحمد محمد شاكر. ط1. (مؤسسة الرسالة). 1420هـ–2000م. (ج23 ص576).

[6] المرجع السابق: (ج19 ص115).

3) الرمي: وذلك في قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾[النساء: 112]، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾[النور: 4]، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ﴾[النور: 6]، والرمي إذا كان في الأعيان؛ كالسهم والحجر قُصد به الرمي حقيقة، كما في قول الله سبحانه: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ [illegible] رَمَىٰ﴾[الأنفال: 17]، وإذا كان في الكلام فهو كناية عن الشتم والقذف كما في آية النساء والنور[1].

[1] انظر: الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل (ت 502هـ): **معجم مفردات ألفاظ القرآن**. تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي. (بيروت: دار الفكر). 1429هـ-2009م. (ص154-155).

الفصل الثاني

التهم الموجهة إلى الأنبياء والصالحين

المبحث الأول: التهم الفكرية

المبحث الثاني: التهم الأخلاقية

المبحث الثالث: التهمة الجسدية

تمهيد:

بعد استقراء القرآن الكريم، وسبر ما ذكر فيه من تهم باطلة نسبت إلى الأنبياء والصالحين، تبين أنها تنقسم إلى ثلاثة أنواع، وهي: التهم الفكرية، والتهم الأخلاقية، وتهمة جسدية.

أولا: التهم الفكرية، وهي:

- التهمة بالكفر[1].
- التهمة بالسحر[2].
- التهمة بالجنون[3].
- التهمة بالكهانة[4].
- التهمة بالضلال[5].
- التهمة بالشعر[6].
- التهمة بالسذاجة[7].

ثانيا: التهم الأخلاقية، وهي:

- التهمة بالزنا[8].

---

[1] [البقرة: 102]

[2] [الذاريات: 52]، [ص: 4]، [يونس: 2]. [الإسراء: 47]، [الفرقان: 8]، [الشعراء: 185].

[3] [الذاريات: 52]، [القمر: 9]. [الشعراء: 27].

[4] [الحاقة: 42]، [الطور: 29]، [الشعراء: 210-212].

[5] [الأعراف: 59-63]، [النجم: 2].

[6] [الأنبياء: 5]، [الصافات: 36]، [الطور: 30].

[7] [التوبة: 61].

[8] [يوسف:25]، [النساء:156]، [النور:11].

- التهمة بالسرقة[1].

- التهمة بالكذب[2].

- التهمة بالسعي وراء السلطة والملك[3].

- التهمة بالسرقة العلمية[4].

- التهمة بالإفساد في الأرض[5].

- التهمة بالتآمر والمكر[6].

- التهمة بالاستهزاء[7].

- التهمة بالنفعية والوصولية[8].

- التهمة بترك العدل في القسمة[9].

ثالثا: التهمة الجسدية: وذلك في قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾[الأحزاب: 69].

---

1 [يوسف: 77].

2 [القمر: 9]، [الأعراف: 66]، [الشعراء: 186]، [القصص: 38]، [ص:4].

3 [المؤمنون: 24]، [يونس: 78]، [ص: 6].

4 [الفرقان: 4-5]، [النحل:103].

5 [الأعراف:127]، [غافر:26].

6 [الأعراف: 123].

7 [البقرة: 67].

8 [الليل: 17-21].

9 [التوبة: 58]

المبحث الأول

التهم الفكرية

المطلب الأول: التهمة بالكفر:

وُجهت هذه التهمة إلى نبي الله سليمان –عليه السلام– من قبل بني إسرائيل. وهي لم ترد صريحة في القرآن الكريم، ولكنها تُفهم من قول الله سبحانه: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ﴾[البقرة: 102].

فنفي الكفر عن سليمان –عليه السلام– يدل على أن هناك من اتهمه به، وهذا رأي فريق من المفسرين، قال ابن عاشور: "وقد كان اليهود يعتقدون كفر سليمان في كتبهم"[1]، والسياق يؤكد صحة ما ذهب إليه ابن عاشور؛ بأن من اتهم سليمان –عليه السلام– هم اليهود، فالآيات التي قبل وبعد هذه الآية تتكلم عنهم، وقد جاء في العهد القديم من الكتاب المقدس ما يؤكد ذلك، فذكروا أنه –عليه السلام– ارتد في آخر عمره وعبد الأصنام –حاشاه من ذلك –: " وَكَانَ فِي زَمَانِ شَيْخُوخَةِ سُلَيْمَانَ أَنَّ نِسَاءَهُ أَمَلْنَ قَلْبَهُ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى، وَلَمْ يَكُنْ قَلْبُهُ كَامِلاً مَعَ الرَّبِّ إِلهِهِ كَقَلْبِ دَاوُدَ أَبِيهِ، فَذَهَبَ سُلَيْمَانُ وَرَاءَ عَشْتُورَثَ إِلهَةِ الصِّيدُونِيِّينَ، وَمَلْكُومَ رِجْسِ الْعَمُّونِيِّينَ، وَعَمِلَ سُلَيْمَانُ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، وَلَمْ يَتْبَعِ الرَّبَّ تَمَامًا كَدَاوُدَ أَبِيهِ، حِينَئِذٍ بَنَى سُلَيْمَانُ مُرْتَفَعَةً لِكَمُوشَ رِجْسِ الْمُوآبِيِّينَ عَلَى الْجَبَلِ الَّذِي تُجَاهَ أُورُشَلِيمَ، وَلِمُولَكَ رِجْسِ بَنِي عَمُّونَ، وَهكَذَا فَعَلَ لِجَمِيعِ نِسَائِهِ الْغَرِيبَاتِ اللَّوَاتِي كُنَّ يُوقِدْنَ وَيَذْبَحْنَ لآلِهَتِهِنَّ، فَغَضِبَ الرَّبُّ عَلَى سُلَيْمَانَ لأَنَّ قَلْبَهُ مَالَ عَنِ الرَّبِّ إِلهِ إِسْرَائِيلَ الَّذِي تَرَاءَى لَهُ مَرَّتَيْنِ، وَأَوْصَاهُ فِي هذَا الأَمْرِ أَنْ لاَ يَتَّبِعَ آلِهَةً أُخْرَى، فَلَمْ يَحْفَظْ مَا أَوْصَى بِهِ الرَّبُّ"[2].

---

[1] ابن عاشور، محمد الطاهر (ت 1393هـ): **التحرير والتنوير**. 30 مج. (تونس: الدار التونسية للنشر). 1984م. (ج1 ص630).

[2] **الكتاب المقدس:** سفر الملوك الأول. الإصحاح الحادي عشر. (الجمل: 4–10).

وذهب فريق آخر إلى أن ما نُسب إليه هو السحر المفضي إلى الكفر، وليس الكفر الصريح المباشر. قال ابن عطية: "وقوله تعالى: {وما كفر سليمان} تبرئة من الله تعالى لسليمان، ولم يتقدم في الآيات أن أحدا نسبه إلى الكفر، ولكنها آية نزلت في السبت المتقدم أن اليهود نسبته إلى السحر"[1]، ويشهد لهذا القول أن السياق في الآية يدل عليه، فالله سبحانه قال: {وما كفر سليمان ولكنّ الشياطين كفروا يعلّمون الناس السحر}؛ فجاء التعليل لكفرهم بأنهم يعلّمون الناس السحر.

ولا يبعد أنهم اتهموه بالسحر والكفر معا، وهذا ما ذهب إليه الإمام القرطبي في كتابه: "الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والاوهام"، حيث ذكر فرية عبادة سليمان للأصنام واتهامه بالسحر، ورد على ذلك بهذه الآية {وما كفر سليمان}، قال رحمه الله: "ومن أفضح ما كتبوا في هذا المصحف عن سليمان بن داوود أنه ختم عمره بعبادة الأصنام والسحر، وسيبت نساؤه دينه، كذبوا {قاتلهم الله أنى يؤفكون}، إذ بالأباطل والفواحش يتقوّلون ويتخرّصون، فلقد صدق الله العظيم ورسوله الكريم، حيث قال سبحانه وتعالى في محكم كتابه الحكيم: {واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا}"[2].

وهذا ما يُفهم من ظاهر كلام الفخر الرازي حيث قال: "أما قوله تعالى: {وما كفر سليمان} فهذا تنزيه له –عليه السلام– عن الكفر، وذلك يدل على أن القوم نسبوه إلى الكفر والسحر"[3]. فربما قصد أنهم نسبوا إليه التهمتين، أو أنهم نسبوا إليه السحر المؤدي إلى الكفر، كما ذهب لذلك الفريق الثاني، وهذا أظهر –والله أعلم– لأن السياق يدل عليه كما سبق.

وسواء كان الاتهام لسليمان –عليه السلام– بالسحر، أم بالكفر، أم بهما معا؛ فخلاصة القول أنها تهمة بشعة جاء بها بنو إسرائيل بحق سليمان –عليه السلام–، وهو نبي من أنبياء الله

---

[1] ابن عطية، ابو محمد عبد الحق بن غالب (ت 542هـ): **المحرر الوجيز**. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. ط1. (بيروت: دار الكتب العلمية). 1422هـ. (ج1 ص186).

[2] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 671هـ): **الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام**. 1مج. تحقيق: أحمد حجازي السقا. (القاهرة: دار التراث العربي). (ص200).

[3] الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر (ت 606هـ): **مفاتيح الغيب**. ط3. (بيروت: دار إحياء التراث العربي). 1420هـ. (ج3 ص618).

–عز وجل–، فهي تهمة مردودة باطلة؛ لأن الرسل والأنبياء معصومون عن الخطأ، منزهون عن الذنوب كلها من الصغائر والكبائر، وهذا معلوم من الدين بالضرورة، فكيف يستجيز هؤلاء الصاق تهمة الخيانة بمن اختارهم الله لحمل رسالته! وأن يقعوا فيما هم مأمورون بمحاربته من الكفر والشرك! قال أبو حيان: "ومن نبأه الله تعالى منزّه عن المعاصي؛ الكبائر والصغائر، فضلا عن الكفر. وفي ذلك دليل على صحة نفي الشيء عمن لا يمكن أن يقع منه، لأن النبي لا يمكن أن يقع منه الكفر"[1].

ويذكر القرآن الكريم إيمان سليمان –عليه السلام–، وعلمه بأن إيمان الخلق إنما هو لأنفسهم، وكفرهم وشركهم لا يؤثر في ملك الله شيئا، فالله غني عن العالمين، قال الله على لسانه –عليه السلام–: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[النمل: 40].

وهذا الذي جاء به بنو إسرائيل من الافتراء والبهتان يضاف إلى سجلهم الأسود الطويل من التجاوزات والجرائم –وسيأتي الكلام عن بعضها– وليس هذا أسوأها، فقد فعلوا أكبر من ذلك من قتلهم أنبياء الله –عز وجل–، قال الله سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾[البقرة:61].

وتجدر الإشارة إلى أن القرآن الكريم ذكر اتهام فرعون لموسى –عليه السلام– بالكفر، وذلك في قول الله تعالى: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[الشعراء: 19]، ولكن معنى الكفر هنا جحود النعمة؛ لأن فرعون ربى موسى في بيته، فاعتبر قتلَه القبطيَّ جحودا لإحسانه وتربيته. قال البغوي: "قال أكثر المفسرين: معنى قوله: وأنت من الكافرين، يعني من الجاحدين لنعمتي وحق تربيتي، يقول: ربيناك فينا، فكافأتنا أن قتلت منا نفسا، وكفرت بنعمتنا"[2].

---

[1] أبو حيان، محمد بن يوسف (ت 745هـ): **البحر المحيط**. تحقيق: صدقي محمد جميل. ط1. (بيروت: دار الفكر). 1420هـ. (ج1 ص523).

[2] البغوي، الحسين بن مسعود (ت 510هـ): **معالم التنزيل في تفسير القرآن**. 5 مج. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. ط1. (بيروت: إحياء التراث العربي). 1420هـ. (ج3 ص464).

المطلب الثاني: التهمة بالسحر

التهمة بالسحر واحدة من أكثر التهم التي وجهت إلى الأنبياء عليهم السلام، قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾[الذاريات: 52]، وسبب ذلك –والله أعلم– أن الساحر يأتي بأعمال تُوهم الناس أنها معجزة وخارقة للعادة، وهي ليست كذلك في الحقيقة، ومعجزات الأنبياء خرق للعادة على الحقيقة بمشيئة الله سبحانه، فلما التبس على الكافرين سحر السحرة ومعجزات الأنبياء نسبوا إليهم السحر، قال الرازي: "وأما السحر فكانوا ينسبونه إليه عندما كان يفعل ما لا يقدر عليه الغير، كشق القمر وتكلم الحصى والجذع وغير ذلك"[1].

وهناك سبب آخر لاتهام النبي محمد ﷺ خاصة بالسحر، صرح به الوليد بن المغيرة لمّا رأى أن أفضل وصف يطلق على النبي ﷺ أنه ساحر وأن كلامه سحر، وهو التأثير على علاقات القرابة، فإن السحرة كانوا يفرّقون بالسحر بين المرء وأهل بيته، وهذا ما لاحظه المشركون من نتيجة دعوة النبي ﷺ، فقد كان يسلم أحد أفراد العائلة فيعاديه أهله ويهجروه، قال ابن هشام: "ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش، وكان ذا سن فيهم، وقد حضر الموسم، فقال لهم: يا معشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأيا واحدا، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا، ويرد قولكم بعضه بعضا، قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس، فقل وأقم لنا رأيا نقول به، قال: بل أنتم فقولوا: أسمع، قالوا: نقول كاهن، قال: لا والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان، فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه، قالوا: فنقول: مجنون، قال: ما هو بمجنون. لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه، ولا تخالجه، ولا وسوسته، قالوا: فنقول: شاعر، قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضة ومبسوطة، فما هو بالشعر، قالوا: فنقول: ساحر، قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السحار وسحرهم، فما هو بنفثهم ولا عقدهم، قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق، وإن فرعه لجناة – قال ابن هشام: ويقال لغدق – وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا: ساحر، جاء بقول هو سحر يفرق به بين

[1] الرازي: **مفاتيح الغيب**. (ج26 ص304). وانظر: الشوكاني، محمد بن علي (ت 1250هـ): **فتح القدير**. ط1. (دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب). 1414هـ. (ج4 ص482–483).

المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته. فتفرقوا عنه بذلك"[1]. وفيه نزلت الآيات من سورة المدثر: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾[المدثر: 11-25]، قال ابن كثير بعد هذه الآيات: "وهذا المذكور في هذا السياق هو: الوليد بن المغيرة المخزومي، أحد رؤساء قريش"[2].

وقد جاءت التهمة بالسحر في القرآن على ضربين:

الأول: اتهام النبي بأنه ساحر وأن ما جاء به من قبيل السحر، كما في قول الله -عز وجل-: ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾[ص: 4]، وقوله: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ﴾[3][يونس: 2].

والثاني: اتهام النبي بأنه مسحور، كما في قول الله تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾[الإسراء: 47]، وقوله: ﴿أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾[الفرقان: 8]، وقوله: ﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾[الإسراء: 101]. وكما قيل في صالح -عليه السلام-: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾[الشعراء: 153]، وفي شعيب -عليه السلام-: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾[الشعراء: 185]. وكلمة (مسحَّرين) في آيتي الشعراء لها

---

[1] ابن هشام، أبو محمد عبد الملك (ت 213هـ): **السيرة النبوية**. 2مج. تحقيق: جودة محمد جودة. ط1. (القاهرة: دار ابن الهيثم). 1427هـ-2006م. (ج1 ص135).

[2] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت 774هـ): **تفسير القرآن العظيم**. 8 مج. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. ط2. (دار طيبة). 1420هـ-1999م. (ج8 ص267).

[3] في بعض القراءات المتواترة: "لسحر مبين" يقصدون بذلك القرآن الكريم. انظر: ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد (ت833هـ): **النشر في القراءات العشر**. 1 مج. ط2. (بيروت: دار الكتب العلمية). 1423هـ-2002م. (ج2، ص192).

معنى آخر ذكره المفسرون وهو أنها من كلمة "سَحْر" بفتح السين أي: رئة، في إشارة إلى أنه بشر مثلهم يبعُد أن يكون مرسلا من عند الله، قال ابن عطية: "وقولهم مِنَ الْمُسَحَّرِينَ فيه تأويلان: أحدهما مأخوذ من "السِّحر" بكسر السين، أي: قد سُحرت؛ فأنت لذلك مخبول لا تنطق بقويم، والثاني أنه مأخوذ من "السَّحر" بفتح السين، وهي الرئة، وبسببها يقال: انفتح سَحْرُه، وقيل: "السَّحْر" قصبة الرئة بما يتعلق بها من كبد وغيره، أي أنت ابن آدم لا يصح أن تكون رسولا عن الله"[1]. ومنه قول عائشة –رضي الله عنها–: "تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي"[2]. ومما يؤيد القول الثاني –أن المعنى: أنت مجرد بشر– قول الله تعالى في الآية التي تلي كلا من الآيتين السابقتين: ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾[الشعراء: 154]، وقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾[الشعراء:186]، ورجح ابن كثير القول الأول بأن المعنى: من المسحورين، فقال: "وقال قوم صالح وهم قبل إبراهيم الخليل –عليه السلام– لنبيهم صالح: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴾[الشعراء: 153] أي: من المسحورين على المشهور"[3]. ويُجاب عن هذه التهمة بحق جميع الأنبياء:

أولا: بما سبق ذكره في مقدمة هذا المبحث: من أن سببها ما التبس على الكافرين من أمر المعجزة فظنوه سحرا، والصواب أن معجزات الأنبياء حق والسحر باطل، ويظهر هذا جليا في قصة موسى –عليه السلام– حيث التبس السحر بالمعجزة، وعند التحدي والمواجهة ظهر الفرق –للسحرة خاصة وأيقنوا أن هذا على الحقيقة، وليس مجرد تمويه وخداع كالذي جاءوا به، قال الله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ

[1] ابن عطية: **المحرر الوجيز**. (ج4 ص240).

[2] **البخاري**، محمد بن إسماعيل (ت 256هـ): **صحيح البخاري**. ط1. (دار طوق النجاة). 1422هـ. كتاب: المغازي، باب: مرض النبي ﷺ ووفاته. (ج6 ص13). ح4451.

[3] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**. (ج1 ص350).

تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ٦٩ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾[طه: 65–70].

ثانياً: ويجاب عن مسألة التشابه بين السحر والمعجزة من حيث التفريق بين الأهل والأحبة، بأن التشابه في النتيجة لا يعني بالضرورة المماثلة في المقدمات والأسباب، ثم إن السحر تفريق بين الناس بالباطل، والإسلام تفريق بين الناس بالحق، لينماز المؤمن من الكافر والصالح من الفاجر.

ثالثاً: ويُردّ كذلك بما اعترف به الوليد بن المغيرة بأنه لا تشابه ولا صلة بين أفعال النبي ﷺ وتصرفاته، وبين أفعال السحرة لمّا قال: "لقد رأينا السحار وسحرهم، فما هو بنفثهم ولا عقدهم"[1].

المطلب الثالث: التهمة بالجنون:

التهمة بالجنون هي كذلك واحدة من أكثر التهم التي طُعن بها في الأنبياء عليهم السلام، كما سبق ذكره في قول الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾[الذاريات: 52]، وقال تعالى عن مقالة قوم نوح فيه –عليه السلام–: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ﴾[القمر: 9]، واتَّهم بها فرعونُ موسى –عليه السلام–: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ﴾[الشعراء: 27].

ونُسبت هذه التهمة إلى هود –عليه السلام–؛ حيث ادعى عليه قومه بأن ما فيه من جنون هو انتقام من آلهتهم؛ لمحاربته لها وتسفيهه عبادتها، قال الله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ٥٣ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾[هود: 53–54]، قال الزمخشري: "والمعنى: ما نقول إلا قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء، أي: خبلك ومسّك بجنون لسبّك إيّاها

[1] سبق تخريجه: انظر: ص20–21.

وصدّك عنها وعداوتك لها؛ مكافأة لك منها على سوء فعلك بسوء الجزاء، فمن ثم تتكلم بكلام المجانين وتهذى بهذيان المبرسمين[1]"[2].

وعند الوقوف على سبب هذه التهمة يتبين أنه الأقوال والأفكار غير المعهودة عند من يسمعها، ترفضها عقولهم فينسبونها إلى الجنون لأنها بظنهم بعيدة عن المنطق. وهي هنا إخبار الأنبياء أقوامَهُم بأن هناك بعثا وحسابا بعد الموت، وأن ثمة حياة أخرى يُجزَى فيها المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، وقد كان العرب ينكرون ذلك ويستبعدونه؛ لما يرون من استحالة الأجساد إلى عظام ورفات وتراب بعد الموت، قال الله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾[ق: 2-3].

ومن الوقائع المحفوظة في السيرة النبوية عن ذلك، ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما عن خباب بن الأرت –رضي الله عنه– قال: " كُنْتُ رَجُلًا قَيْنًا[3]، فَعَمِلْتُ لِلْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ، فَاجْتَمَعَ لِي عِنْدَهُ، فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ، فَقَالَ: لاَ وَاللَّهِ لاَ أَقْضِيكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ، فَقُلْتُ: «أَمَا وَاللَّهِ حَتَّى تَمُوتَ ثُمَّ تُبْعَثَ فَلاَ»، قَالَ: وَإِنِّي لَمَيِّتٌ ثُمَّ مَبْعُوثٌ؟ قُلْتُ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَإِنَّهُ سَيَكُونُ لِي ثَمَّ مَالٌ وَوَلَدٌ، فَأَقْضِيكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا، وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا}[مريم: 77]"[4].

قال الشهرستاني: "وشبهات العرب كانت مقصورة على هاتين الشبهتين: إحداهما: إنكار البعث؛ بعث الأجسام. والثانية: جحد البعث؛ بعث الرسل. فعلى الأولى قالوا: {أإذا متنا وكنا ترابا

---

[1] البرسام، بالكسر: علة يهذي فيها. برسم، بالضم، فهو مبرسم. [الفيروزآبادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت 817هـ): **القاموس المحيط**. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. ط8. (بيروت: مؤسسة الرسالة). 1426هـ–2005م. (ج1 1079).

[2] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت 538هـ): **الكشاف**. 4 مج. ط3. (بيروت: دار الكتاب العربي). 1407هـ. (ج2 ص403).

[3] القين: هو الصانع والحدّاد. انظر: ابن فارس: **معجم مقاييس اللغة**. (ج5، ص45). وانظر: ابن منظور: **لسان العرب**. (ج13 ص350).

[4] (متفق عليه) البخاري: **صحيح البخاري**. كتاب: الإجارة، باب: هل يؤاجر الرجل نفسه من مشرك في أرض الحرب. (ج3 ص92). ح2275. مسلم: **صحيح مسلم**. كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: سؤال اليهود النبي –صلى الله عليه وسلم– عن الروح وقوله تعالى: {يسألونك عن الروح} [الإسراء: 85]. (ج4 ص2153). ح2795.

وعظاما أئنا لمبعوثون * أو آباؤنا الأولين}[الصافات: 16-17]، إلى أمثالها من الآيات، وعبروا عن ذلك في أشعارهم، فقال بعضهم: حياة ثم موت ثم نشر.. حديث خرافة يا أم عمرو[1]"[2].

وقد ضرب الله سبحانه في كتابه أمثلة عديدة للاستدلال على عقيدة البعث، مثل: إحياء الأرض الميتة بإنزال الماء، كما في قول الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾[فاطر: 9]، والاستدلال بالنشأة الأولى: ﴿قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴾[يس: 79]. إلى غير ذلك من الأدلة والبراهين التي يزخر بها كتاب ربنا العظيم.

ومما يدل على أن سبب التهمة بالجنون هو هذه العقيدة، قول الله تعالى في سورة سبأ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ٧ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ﴾[سبأ: 7-8]، فنسبوا إلى النبي ﷺ الجنون لأنه يعتقد إعادة الأجساد بعد تمزّقها وتغيّرها وتحلّلها، قال الزمخشري: "{الذين كفروا} قريش. قال بعضهم لبعض: هل ندلكم على رجل يعنون محمدا صلى الله عليه وآله وسلم: يحدثكم بأعجوبة من الأعاجيب: أنكم تُبعثون وتُنشئون خلقا جديدا بعد أن تكونوا رفاتا وترابا... أهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب إليه من ذلك؟ أم به جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه؟"[3].

ورأى ابن عاشور أن سبب التهمة ادعاء الرسالة والنبوة، وهو الأمر الثاني الذي كان يجحده العرب كما قال الشهرستاني، قال ابن عاشور: "وإنما وصفوه بالجنون لتوهّمهم أن ادّعاء نزول الوحي عليه لا يصدر من عاقل، لأن ذلك عندهم مخالف للواقع توهما منهم بأن ما لا تقبله عقولهم التي عليها غشاوة ليس من شأنه أن يقبله العقلاء، فالداعي به غير عاقل"[4]، ولعله يشهد لهذا قول الله سبحانه: ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ﴾[الحجر: 6]، قالوها

---

[1] هذا البيت منسوب إلى عبدالله بن الزبعرى، أحد شعراء قريش في الجاهلية. انظر: الثعالبي، عبد الملك بن محمد (ت 429هـ): **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**. (القاهرة: دار المعارف). (ج1 ص130).

[2] الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت 548هـ): **الملل والنحل**. 3 مج. (الناشر: مؤسسة الحلبي). (ج3 ص81).

[3] الزمخشري: **الكشاف**. (ج3 ص569) بتصرف.

[4] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (ج14 ص17).

على سبيل الاستهزاء؛ لأنهم لم يكونوا يؤمنون برسالته، فكأنهم قالوا: "يا أيها المدعي نزول الذكر عليه"، ثم ربطوها بالجنون فقالوا: {إنك لمجنون}. فدل هذا الربط على وجاهة ما قال ابن عاشور.

والنبي محمد ﷺ هو أكثر من نُسبت إليه هذه التهمة حسبما جاء في القرآن الكريم، فتارة يتهمه بها الكافرون، كما في قول الله سبحانه: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ﴾[الصافات: 36]، وقوله: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ﴾[القلم: 51]، وتارة ينفيها الله عنه، كقوله: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ﴾[القلم: 2]، وقوله: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ﴾[التكوير:22].

ومما يُرَدُّ به على هذه التهمة بحقه ﷺ، ما سبق ذكره من اعتراف الوليد بن المغيرة بأنه لا تشابه بين المجانين وأعراضِهم مع صفات النبي ﷺ، لمّا قال: "ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه، ولا تخالجه، ولا وسوسته"[1]، فهو اعتراف من ألَدّ أعدائه ﷺ، والحق ما شهدت به الأعداء. وهذا ما دعاهم إليه القرآن ليفعلوه، أن يتفكروا ويتأملوا ويُعمِلوا عقولهم في النبيﷺ وبما جاء به، فإن فعلوا سيتبين لهم أنه أبعد الناس عن الجنون، قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴾[الأعراف: 184].

ومما يُرَدُّ به أيضا على هذا الزعم، شهادة أحد الأطباء المعالجين من الجنون زمن بعثته ﷺ بأنه رسول من عند الله، هذا الرجل هو ضماد الأزدي الذي جاء خبره في صحيح مسلم من حديث ابن عباس –رضي الله عنهما–: "أَنَّ ضِمَادًا، قَدِمَ مَكَّةَ وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنُوءَةَ، وَكَانَ يَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ، فَقَالَ: لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ، قَالَ فَلَقِيَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، وَإِنَّ اللهَ يَشْفِي عَلَى يَدِي مَنْ شَاءَ، فَهَلْ لَكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ» قَالَ: فَقَالَ: أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ، وَقَوْلَ السَّحَرَةِ، وَقَوْلَ الشُّعَرَاءِ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ،

[1] سبق تخريجه: انظر: ص18.

وَلَقَدْ بَلَغْنَ نَاعُوسَ[1] الْبَحْرِ، قَالَ: فَقَالَ: هَاتِ يَدَكَ أُبَايِعْكَ عَلَى الْإِسْلَامِ، قَالَ: فَبَايَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَعَلَى قَوْمِكَ»، قَالَ: وَعَلَى قَوْمِي"[2].

فإسلام هذا الرجل، وهو من أهل الاختصاص بمعالجة المجانين، وشهادته بأنه لم يسمع بمثل كلامه ﷺ من جميع العقلاء دليل على أن النبي ﷺ ليس مجنونا، وحاشاه من ذلك بأبي هو وأمي، والمسلم إذ ينفي عنه هذه التهمة إنما يحاجج بذلك المشككين والملحدين، وإلا فهو أعقل الناس وأكمل الناس ﷺ.

المطلب الرابع: التهمة بالكهانة:

وُجّهت التهمة بالكهانة إلى النبي محمد ﷺ بعدما صرّح لأهل مكة أنّه يأتيه الخبر من السماء، وأن مَلَكا ينزل عليه بكلام الله سبحانه، فاتهمه الكافرون بأنه كاهن كما هي عادة الكهان في زمانهم، حيث كانوا يستخدمون الشياطين والجنّ ليسترقوا لهم السمع من الملأ الأعلى، قال ابن كثير: "والكاهن: الذي يأتيه الرئي[3] من الجانّ بالكلمة يتلقاها من خبر السماء"[4]، وقد أخبر النبي ﷺ عن فعل الشياطين لهذا الأمر، فقال كما في الصحيحين من حديث عائشة –رضي الله عنها–: "إِنَّ المَلاَئِكَةَ تَنْزِلُ فِي العَنَانِ: وَهُوَ السَّحَابُ، فَتَذْكُرُ الأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ، فَتَسْتَرِقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَتَسْمَعُهُ، فَتُوحِيهِ إِلَى الكُهَّانِ، فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ"[5]، فلأجل ذلك اتُّهم النبي ﷺ بالكهانة، وقد صرحت إحدى المشركات باعتقادها أن النبي ﷺ يتواصل مع الجن والشياطين، فقد جاء في الصحيحين من حديث جندب بن سفيان –رضي الله عنه– قال: " «اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَتَيْنِ –أَوْ ثَلاَثًا–»، فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ

---

[1] هكذا وقع في صحيح مسلم، وفي سائر الروايات «قاموس البحر» وهو وسطه ولجته، ولعله لم يجود كتبته فصحفه بعضهم. انظر: ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات (ت 606هـ): **النهاية في غريب الحديث والأثر**. تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي. (بيروت: المكتبة العلمية). 1399هـ–1979م. (ج5 ص81).

[2] مسلم: **صحيح مسلم**. كتاب: الجمعة. باب: تخفيف الصلاة والخطبة. (ج2 ص593). ح868.

[3] الرئي: جني يعرض للرجل يريه كهانة وطبا. انظر: الهروي، محمد بن أحمد (ت 370هـ): **تهذيب اللغة**. تحقيق: محمد عوض مرعب. ط1. (بيروت: دار إحياء التراث العربي). 2001م. (ج14 ص17).

[4] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**. (ج7 ص436).

[5] (متفق عليه) البخاري: **صحيح البخاري**. كتاب: بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة. (ج4 ص111). ح3210. مسلم: **صحيح مسلم**. كتاب: السلام، باب: تحريم الكهانة وإتيان الكهان. (ج4 ص1750). ح2228.

يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ، لَمْ أَرَهُ قَرِبَكَ مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ –أَوْ ثَلاَثَةٍ– فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى}[الضحى: 2]"[1].

وهناك سبب آخر اتُّهم لأجله النبي ﷺ بالكهانة، وهو أنه كان يخبر بوحي من الله قرآنا وسنة عن بعض الأحداث التي لم تقع، كقول الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾[الروم: 2-4]. وغيرها من أخبار المستقبل، وهو يشبه ما كان يتكهّنه الكهان للناس من إخبارهم عن قابلات الأيام وما سيقع لهم فيها من أمور. بَيْدَ أن كلام النبي ﷺ حق وصدق بوحي من الله، وكلام الكهنة مجرد توقعات وتخرّصات بوحي من الشياطين لا تصيب إلا نادرا، قال القرطبي: "قوله تعالى: {فذكر} أي: فذكر يا محمد قومك بالقرآن. {فما أنت بنعمة ربك} يعني: برسالة ربك {بكاهن}: تبتدع القول وتخبر بما في غد من غير وحي"[2].

وسبب ثالث أيضا يمكن أن يكون مدعاة لهذه التهمة، وهو ما جاء في القرآن في الفواصل القرآنية وخواتيم الآيات مما يشبه سجع الكهان.

وقد ردّ الله تعالى هذه التهمة عن نبيه ﷺ بقوله: ﴿وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[الحاقة: 42]، وقوله: ﴿فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ﴾[الطور: 29]، وبيّن السبب في عدم إمكانية كون القرآن كهانة بقوله: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ۝٢١١ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ﴾[الشعراء: 210-212]. قال الزمخشري: "كانوا يقولون: إن محمدا كاهن وما يتنزل عليه من جنس ما يتنزل به الشياطين على الكهنة، فكذبوا بأن ذلك مما لا يتسهل للشياطين ولا يقدرون عليه، لأنهم مرجومون بالشهب، معزولون عن استماع كلام أهل السماء"[3].

---

[1] (متفق عليه) البخاري: **صحيح البخاري**. كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾، (ج6 ص172). ح4950. مسلم: **صحيح مسلم**. كتاب: الجهاد والسير، باب: ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين. (ج3 ص1422). ح1797.

[2] القرطبي، محمد بن أحمد: **الجامع لأحكام القرآن**. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. 10مج. ط2. (القاهرة: دار الكتب المصرية). 1384هـ-1964م. (ج17 ص71). وانظر: الشوكاني: **فتح القدير**. (ج5 ص119).

[3] الزمخشري: **الكشاف**. (ج3، ص339). وانظر: الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**. (ج19 ص403-404).

وقد حُجبت الشياطين عن استراق السمع ببعثة النبي ﷺ، كما قال تعالى حكاية عنهم: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾[الجن: 9]. قال القرطبي: "يعني أن مردة الجن كانوا يفعلون ذلك ليستمعوا من الملائكة أخبار السماء حتى يلقوها إلى الكهنة على ما تقدم بيانه، فحرسها الله تعالى حين بعث رسوله بالشهب المحرقة، فقالت الجن حينئذ: {فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا} يعني بالشهاب: الكوكب المحرق"[1].

وفي موضع آخر؛ نفى الله سبحانه عن النبي ﷺ تهمة الكهانة بقوله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾[التكوير: 25]، قال النسفي: "{وما هو} وما القرآن {بقول شيطان رجيم} طريد، وهو كقوله {وما تنزلت به الشياطين} أى ليس هو بقول بعض المسترق للسمع وبوحيهم إلى أوليائهم من الكهنة"[2].

ومما يؤكد بطلان هذه التهمة؛ ما جاء في سورة الشعراء أيضا في وصف مَن تنزل عليهم الشياطين وأنهم كاذبون آثمون، ووصف ما ينزلون به؛ وأن أكثره كذب مخالف للواقع والحقيقة، فلا الأول وصف النبي ﷺ فهو الصادق الأمين، ولا الثاني وصف القرآن فهو الحق المبين[3]، قال الله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾[الشعراء: 221-223].

وذكر القرطبي حجة قوية تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أنها تهمة مفتراة لا تمت إلى الحقيقة بصلة، وهي أن القرآن جاء بذم الشياطين في مواضع كثيرة، فكيف يمكن أن تنزل به الشياطين؟! كقول الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾[البقرة: 102]. وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾[الإسراء: 27]. وقوله: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾[المؤمنون: 97-98]. وقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ

---

[1] القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**. (ج19 ص12).

[2] النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد (ت 710هـ): **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**. تحقيق: يوسف علي بديوي. ط1. (بيروت: دار الكلم الطيب). 1419هـ-1998م. (ج3 ص608).

[3] انظر: البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر (ت 685هـ): **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**. تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. ط1. (بيروت: دار إحياء التراث العربي). 1418هـ. (ج4 ص152). بتصرف. وانظر: أبو السعود، محمد بن محمد (ت 982هـ): **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**. (بيروت: دار إحياء التراث العربي). (ج6 ص268).

لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا﴾[مريم: 68]. قال القرطبي: "{ولا بقول كاهن} لأنه ورد بسب الشياطين وشتمهم؛ فلا ينزلون شيئا على من يسبهم"[1]، ومما يُستأنس به في إثبات براءة النبي ﷺ من هذه التهمة؛ أن الكهان زمن بعثته ﷺ كانوا يسألون العِوض والأجر على كهانتهم، أما رسول الله ﷺ فلم يبدر منه شيء من ذلك[2].

وأما بالنسبة لفواصل الآيات ومشابهتها لأسلوب السجع عند العرب، فبينهما فارق مبين، قال الزركشي: "وما توهموا أنه سجع باطل لأن مجيئه على صورته لا يقتضي كونه هو؛ لأن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع، وليس كذلك ما اتفق مما هو في معنى السجع من القرآن؛ لأن اللفظ وقع فيه تابعا للمعنى، وفرق بين أن ينتظم الكلام في نفسه بألفاظه التي تؤدي المعنى المقصود فيه، وبين أن يكون المعنى منتظما دون اللفظ"[3]. ثم إن السجع غير مرفوض بإطلاق، ولكن المرفوض منه أن يأتي الإنسان بكلام باطل أو كذب ثم يسجعه ليروج على الناس، ومن ذلك ما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه–: " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَضَى فِي امْرَأَتَيْنِ مِنْ هُذَيْلٍ اقْتَتَلَتَا، فَرَمَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى بِحَجَرٍ، فَأَصَابَ بَطْنَهَا وَهِيَ حَامِلٌ، فَقَتَلَتْ وَلَدَهَا الَّذِي فِي بَطْنِهَا، فَاخْتَصَمُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَضَى: أَنَّ دِيَةَ مَا فِي بَطْنِهَا غُرَّةٌ عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ، فَقَالَ وَلِيُّ المَرْأَةِ الَّتِي غَرِمَتْ: كَيْفَ أَغْرَمُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ لاَ شَرِبَ وَلاَ أَكَلَ، وَلاَ نَطَقَ وَلاَ اسْتَهَلَّ[4]، فَمِثْلُ ذَلِكَ يُطَلُّ[5]، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّمَا هَذَا مِنْ إِخْوَانِ الكُهَّانِ»"[6]. قال القاري: " قال الطيبي: وإنما قال ذلك من أجل سجعه الذي سجع، ولم يعِبْه بمجرد السجع دون ما

---

[1] القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**. (ج18 ص275).

[2] انظر: ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (ج30 ص162).

[3] الزركشي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت 794هـ): **البرهان في علوم القرآن**. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط1. (دار إحياء الكتب العربية). 1376هـ–1957م. (ج1 ص55).

[4] استهل الصبي: صاح عند الولادة. انظر: [الرازي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت 666هـ): **مختار الصحاح**. تحقيق: يوسف الشيخ محمد. ط5. (بيروت: المكتبة العصرية). 1420هـ–1999م. (ج1 ص327)].

[5] يُطَل، أي: يُهدر. الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم (ت 388هـ): **غريب الحديث**. تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي. (دار الفكر). 1402هـ–1982م. (ج3 ص251).

[6] **(متفق عليه) البخاري: صحيح البخاري**. كتاب: الطب، باب: ذكر الكهانة. (ج7 ص135) ح5758. **مسلم: صحيح مسلم**. كتاب: القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب: باب دية الجنين، ووجوب الدية في قتل الخطأ، وشبه العمد على عاقلة الجاني. (ج3 ص1309). ح1681.

تضمن سجعه من الباطل، أمّا إذ وضع السجع في مواضعه من الكلام فلا ذم فيه، وكيف يُذم وقد جاء في كلام رسول الله ﷺ كثيرا، قلت: ومنه ما ورد: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعاء لا يسمع، ومن هؤلاء الأربع»[1]"[2].

وهذه التهمة والتي قبلها –الجنون– ليستا بحاجة إلى برهان على خطئهما، فالنظر في صفات النبي ﷺ وأقواله وأفعاله كاف في تفنيدها، وأعيد هنا مقالة الوليد بن المغيرة لما عرضوا عليه نسبة الكهانة إلى النبي ﷺ، فردها بقوله: "لا والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه"[3]. قال ابن عاشور: "وقد اكتفي في إبطال كونه كاهنا أو مجنونا بمجرد النفي دون استدلال عليه، لأن مجرد التأمل في حال النبيء ﷺ كاف في تحقق انتفاء ذينك الوصفين عنه، فلا يحتاج في إبطال اتصافه بهما إلى أكثر من الإخبار بنفيهما؛ لأن دليله المشاهدة"[4].

المطلب الخامس: التهمة بالضلال:

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[الأعراف: 59-63].

تبيّن الآيات أن هذه التهمة وُجّهت إلى نبي الله نوح –عليه السلام– من قبل قومه، بعدما دعاهم إلى ما أمره الله به، فماذا تضمّنت دعوة نوح –عليه السلام– من المسائل حتى نسبه قومه

---

[1] الحديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل. (ج4 ص2088). ح2722. ولكن في آخره: "ومن دعوة لا يُستجاب لها".

[2] القاري، علي بن محمد (ت 1014هـ): **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**. ط1. (بيروت: دار الفكر). 1422هـ-2002م. (ج6 ص2295). بتصرف.

[3] سبق تخريجه: انظر: ص20-21.

[4] القاري، علي بن محمد (ت 1014هـ): **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**: (ج27 ص60).

إلى الضلال والغواية، والبعد عن الصواب والهدى؟ وعند تأمل الآية السابقة لتهمة الضلال؛ يُلاحظ أنها تضمنت أربع مسائل[1]:

الأولى: التكليف، وهو مستفاد من قوله: {اعبدوا الله}.

الثانية: التوحيد، وهو مستفاد من قوله: {ما لكم من إله غيره}.

الثالثة: النبوة، وهي مستفادة من قوله: {إني أخاف عليكم}، إشارة إلى ما يوحى إليه من ربه عن عاقبة المكذبين.

الرابعة: المعاد، وهو مستفاد من قوله: {عذاب يوم عظيم}، والمقصود يوم القيامة، وهذا إشارة إلى البعث والحساب.

قال الرازي بعد ذكر هذه المسائل الأربع: "وقوله: {في ضلال مبين} أي: في خطأ ظاهر وضلال بيّن، ولا بد وأن يكون مرادهم نسبة نوح إلى الضلال في المسائل الأربع التي بينا أن نوحا –عليه السلام– ذكرها. وهي: التكليف والتوحيد والنبوة والمعاد، ولما ذكروا هذا الكلام أجاب نوح –عليه السلام– بقوله: {يا قوم ليس بي ضلالة}"[2]. وهناك سبب آخر يمكن أن يكون هو المراد من نسبته إلى الضلال، وهو قيامه –عليه السلام– ببناء السفينة في مكان لا ماء فيه، قال أبو حيان: "وقال الكرماني: خَوَّف نوح الكفارَ بالطوفان العام واشتغل بعمل السفينة، فقالوا: {إنا لنراك في ضلال مبين} حيث تتعب نفسك في إصلاح سفينة كبيرة في مفازة ليس فيها ماء، ولم يظهر ما يدل على ذلك"[3].

والذي يظهر أن المسائل الأربع الأولى هي المقصودة بهذه التهمة، وليس بناءه السفينة، وذلك أولا: لأن السياق يدل عليها، وثانيا: لأن نوحا –عليه السلام– رد عليهم بعد آيتين بقوله: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[الأعراف: 63]،

[1] انظر: الرازي: **مفاتيح الغيب.** (ج14 ص95).
[2] الرازي: **مفاتيح الغيب:** (ج14 ص295–296).
[3] أبو حيان: **البحر المحيط.** (ج5 ص86).

فرد عليهم اتهامهم له وتعجبهم مما يدعوهم إليه بذات المسائل المذكورة: {جاءكم ذكر}: يدل على التكليف، {من ربكم}: يدل على التوحيد، فالرب الخالق المحي المميت هو فقط من يستحق العبادة، {على رجل منكم}: يدل على النبوة، {لينذركم}: يدل على المعاد، حيث الإنذار بالعذاب المقيم بعد الموت، قال أبو السعود: "{أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم} جواب ورد لما اكتفي عن ذكره بقولهم: {إنا لنراك في ضلال مبين}"[1].

وقد نفى نوح –عليه السلام– عن نفسه هذه التهمة قبل ذلك بقوله: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦١ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[الأعراف:61-62]، وهناك ملمح جميل جدا في جواب نوح –عليه السلام– أشار إليه الزمخشري: وهو أنهم نسبوا إليه الضلال بقولهم: {إنا لنراك في ضلال}، وهو نفى عن نفسه الضلالة بقوله: {ليس بي ضلالة}، وهي المفردة من الضلال، أي: ليس بي ضلالة واحدة، فكيف تتهمونني بالضلال المتعدد الكثير؟[2].

وقد وُجِّهت التهمة بالضلال كذلك إلى النبي محمد ﷺ، فردها الله سبحانه بقوله: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾[النجم: 2-4]، فنفى الله –عز وجل– عنه ما اتهمه به المشركون من الضلال بترك دين الآباء وعبادة الأصنام.، وهذا النفي للضلال عنه عليه الصلاة والسلام يؤيده قول الله سبحانه: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ﴾[الضحى: 7]، فما كان عليه النبي ﷺ قبل النبوة من عدم معرفته بمعالم الحنيفية دين إبراهيم –عليه السلام–؛ هو الضلال، وقد خرج من ذلك بالوحي والرسالة، قال ابن جرير: "ووجدك على غير الذي أنت عليه اليوم"[3]، ويفسر ذلك قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[الشورى: 52].

---

[1] أبو السعود: **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم.** (ج3 ص236).

[2] انظر: الزمخشري: **الكشاف.** (ج2 ص113).

[3] الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن.** (ج24 ص488).

وفي آية النجم نفى عنه ربه سبحانه الضلال والغواية، والفرق بينهما كما ذكر الإمام الرازي أن الضلال أعم من الغواية، والرسول ﷺ منزه عن كليهما، وكيف يكون ذلك وهو لا ينطق عن هوى نفسه؟ بل هو وحي من الله سبحانه، وللإمام الرازي كلام نفيس عن هذه الآيات أنقله بتصرف يسير، يقول: "وتحقيق القول فيه أن الضلال أعم استعمالا في الوضع، تقول: ضل بعيري ورحلي، ولا تقول: غوى، فالمراد من الضلال: أن لا يجد السالك إلى مقصده طريقا أصلا، والغواية أن لا يكون له طريق إلى المقصد مستقيم، والضال كالكافر، والغاوي كالفاسق، فكأنه تعالى قال: {ما ضل} أي ما كفر، ولا أقلّ من ذلك فما فسق... ويمكن أن يقال: {وما ينطق عن الهوى} دليل على أنه ما ضل وما غوى، تقديره: كيف يضل أو يغوى وهو لا ينطق عن الهوى، وإنما يضل من يتبع الهوى، ويدل عليه قوله تعالى: {ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله}[ص: 26]"[1].

ومن لطائف الفروق بين تنزيه نبي الله نوح –عليه السلام– عن الضلالة وتنزيه النبي محمد ﷺ عنها، أن نوحا –عليه السلام– تولى إجابتهم بنفسه فقال: {يا قوم ليس بي ضلالة}. أما نبينا ﷺ فتولّى الحق سبحانه الردّ عنه فقال: {ما ضل صاحبكم وما غوى}[2].

وهذه التهمة الموجهة إلى لأنبياء مدفوعة بالآتي:

أولا: صدق صاحبها وأمانته وحسن سيرته، وهذا شهد به بعض الأقوام لأنبيائهم، فهذا نبي الله صالح –عليه السلام–، قال له قومه: ﴿قَالُوا۟ يَـٰصَـٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾[هود: 62]، قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: قالت ثمود لصالح نبيهم: {يا صالح قد كنت فينا مرجوا}، أي كنا نرجو أن تكون فينا سيدا قبل هذا القول الذي قلته لنا"[3]. وقال أهل مدين لنبيهم شعيب: ﴿قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾[هود: 87]، وقالت خديجة –رضي الله عنها– للنبي ﷺ عندما قابل جبريل للمرة الأولى ورجع إلى بيته خائفا: "كَلَّا

---

[1] الرازي: **مفاتيح الغيب**. (ج28 ص233) بتصرف.

[2] انظر: القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن (ت465هـ): **لطائف الإشارات**. تحقيق: إبراهيم البسيوني. ط3. (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب). (ج1 ص543).

[3] الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**. (ج15 ص369).

أَبْشِرْ، فَوَاللهِ، لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، وَاللهِ، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ"[1]. فمن كان شأنه كذلك لا يُظن به الدعوة إلى ضلال.

ثانيا: موافقة دعوة الرسل الفطرة البشرية، فما كان فيها حلال يستحسنه الطبع، وما كان حرام يستقبحه الطبع، وهذا دليل على أنها من عند الله سبحانه، الذي يعلم حقيقة النفس الإنسانية على أكمل وجه، قال ابن القيم رحمه الله: "لا ريب أن التدين بالشرائع يقتضي الاستحسان والاستقباح، ولكن الشرائع إنما جاءت بتكميل الفطر وتقريرها لا بتحويلها وتغييرها، فما كان في الفطرة مستحسنا جاءت الشريعة باستحسانه، فكسته حسنا إلى حسنه، فصار حسنا من الجهتين، وما كان في الفطرة مستقبحا جاءت الشريعة باستقباحه، فكسته قبحا إلى قبحه، فصار قبيحا من الجهتين، وأيضا فهذه القضايا مستحسنة ومستقبحة عند من لم تبلغه الدعوة ولم يقر بنبوة، وأيضا فمجيء الرسول بالأمر بحَسَنها والنهي عن قبيحها دليل على نبوته وعَلَم على رسالته كما قال بعض الصحابة وقد سئل عما أوجب إسلامه فقال: ما أمر بشيء فقال العقل ليته نهى عنه، ولا نهى عن شيء فقال العقل ليته أمر به، فلو كان الحسن والقبح لم يكن مركوزا في الفطر والعقول لم يكن ما أمر به الرسول ونهى عنه عَلَما من أعلام صدقه، ومعلوم أن شرعه ودينه عند الخاصة من أكبر أعلام صدقه وشواهد نبوته"[2]. فالتعاليم والأحكام الموافقة للفطرة البشرية، والتي تقبلها العقول وترتاح لها النفوس، لا يمكن أن تكون ضلالا.

ثالثا: أن دعوة الرسل مؤيَّدة بالمعجزات الظاهرات والأدلة البينات؛ وليست مجرد دعوة مفتقرة إلى الحجة والبرهان، فقد أعطى الله –عز وجل– كل نبي معجزة خارقة للعادة، تحدى بها قومه فعجزوا عن معارضتها مما أثبت صدق دعواه، قال النبي ﷺ: "مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ

[1] (متفق عليه) البخاري: **صحيح البخاري**. كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (ج1 ص7). ح3. مسلم: **صحيح مسلم**. كتاب: الإيمان، باب: بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، (ج1 ص139). ح252.

[2] ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت 751هـ): **مفتاح دار السعادة**. 2 مج. (بيروت: دار الكتب العلمية). (ج2 ص67).

عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ"[1]. فأثبت الأنبياء بذلك أنهم وما يدعون إليه حق وصواب.

والتهمة بالضلال لاصقة دائما وأبدا بكل من خالف الأعراف الفاسدة والعقائد الباطلة، فالضلال عند كل قوم ما خالف عاداتهم وقناعاتهم، ولذلك تجد المسلمين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر والقاصدين إقامة شرع الله سبحانه منسوبين إلى الضلال والعمى والرجعية والتخلف، شأنهم في ذلك شأن المسلمين الأولين من أتباع النبي ﷺ حين نعتهم المشركون بالضلال، كما قص القرآن الكريم: ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾[المطففين:32].

المطلب السادس: التهمة بالشعر:

اتُّهم النبي محمد ﷺ بالشعر في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، في قول الله تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾[الأنبياء: 5]، وقوله سبحانه: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ﴾[الصافات: 36]، وقوله جل شأنه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴾[الطور: 30].

وقد نسبوا إليه ذلك لمّا سمعوا آيات القرآن الكريم، قال الرازي: "وأما الشعر فكانوا ينسبونه إليه عندما كان يتلو القرآن عليهم"[2]. وقد رد الله –عز وجل– عليهم ذلك بقوله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾[الحاقة: 41]، أي أن القرآن في مبناه ليس من الشعر أبدا، قال الزمخشري: "القرآن ليس بشعر وما هو من الشعر في شيء، وأين هو عن الشعر، والشعر إنما هو كلام موزون مُقَفّى، يدل على معنى، فأين الوزن؟ وأين التقفية؟ وأين المعاني التي ينتحيها الشعراء عن معانيه؟

---

[1] (متفق عليه) البخاري: **صحيح البخاري**. كتاب: فضائل القرآن، باب: كيف نزل الوحي وأول ما نزل. (ج6 ص182). ح4981. مسلم: **صحيح مسلم**. كتاب: الإيمان، باب: باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته. (ج1 ص134). ح239.

[2] الرازي: **مفاتيح الغيب**. (ج26 ص304).

وأين نظم كلامهم من نظمه وأساليبه؟ فإذا لا مناسبة بينه وبين الشعر إذا حققت، اللهم إلا أن هذا لفظه عربى، كما أن ذاك كذلك"[1].

وقد سبقت الإشارة إلى مقالة الوليد بن المغيرة حيث نفى كون القرآن شعرا[2]. وثَم شهادة أخرى لعربي آخر هو أنيس أخو أبي ذر –رضي الله عنه–، عندما أرسله أبو ذر إلى مكة ليستكشف له أمر النبي ﷺ، في صحيح مسلم من حديث أبي ذر –رضي الله عنه– أنه سأل أخاه: "مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: لَقِيتُ رَجُلًا بِمَكَّةَ عَلَى دِينِكَ، يَزْعُمُ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَهُ، قُلْتُ: فَمَا يَقُولُ النَّاسُ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: شَاعِرٌ، كَاهِنٌ، سَاحِرٌ، وَكَانَ أُنَيْسٌ أَحَدَ الشُّعَرَاءِ، قَالَ أُنَيْسٌ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ، فَمَا هُوَ بِقَوْلِهِمْ، وَلَقَدْ وَضَعْتُ قَوْلَهُ عَلَى أَقْرَاءِ الشِّعْرِ، فَمَا يَلْتَئِمُ عَلَى لِسَانِ أَحَدٍ، بُعْدِي أَنَّهُ شِعْرٌ، وَاللهِ إِنَّهُ لَصَادِقٌ، وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ"[3].

أضف إلى اختلاف مبنى الكلام اختلاف مضمون الكلام؛ فهل يقارن ما في القرآن من حِكم وأحكام، وقصص وأخبار، ودعوة إلى مكارم الأخلاق، وحديث عن المغيبات مما لم يقع بعد، أو مغيبات في عالم السماء، هل يقارن بين هذا وبين الشعر وأغراضه من المدح والفخر والهجاء والرثاء وغير ذلك؟!

وقد ردّ الله سبحانه وتعالى هذه التهمة عن نبيه بقوله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾[يس: 69]. فقد علم أهل مكة أن النبي ﷺ ليس بشاعر، ولم يؤثر عنه قول بيت واحد من الشعر قبل النبوة، بل إنه بعد النبوة حاول مرات قليلة أن يستشهد بشيء من الشعر فما كان يُجيد، مصداقا لما قال فيه ربه سبحانه، قال ابن عطية: "وكذلك كان رسول الله ﷺ لا يقول الشعر، ولا يزنه، وكان إذا حاول إنشاد بيت قديم متمثلا كسر وزنه، وإنما كان يحرز المعنى فقط، وأنشد يوما قول طرفة:

[1] الزمخشري: **الكشاف**. (ج4 ص26).

[2] انظر: ص20–21.

[3] مسلم: **صحيح مسلم**. كتاب: الفضائل، باب: باب من فضائل أبي ذر رضي الله عنه. (ج4 ص1919). ح2473.

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا * ويأتيك من لم تزوده بالأخبار[1]

وأنشد يوما وقد قيل له من أشعر الناس؟ فقال: الذي يقول:

ألم ترياني كلما جئت طارقا * وجدت بها وإن لم تطيب طيبا[2]

وأنشد يوما:

أتجعل نهبي ونهب العبيد * بين الأقرع وعيينة[3]

وقد كان ﷺ ربما أنشد البيت المستقيم في النادر. وروي أنه أنشد بيت ابن رواحة:

يبيت يجافي جنبه عن فراشه * إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

وقال الحسن بن أبي الحسن: أنشد النبي ﷺ «كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهيا»[4]، فقال أبو بكر وعمر –رضي الله عنهما–: نشهد أنك رسول الله، إنما قال الشاعر: «كفى الشيب والإسلام إلخ ...»"[5].

وهذا ليس نقصا ولا عيبا فيه ﷺ، بل هو من باب إبعاد كل شبهة عن القرآن الكريم من أنه من كلامه ﷺ، أو أنه يشبه شيئا من كلام البشر، فقد كان النبي ﷺ أميا لا يقرأ ولا يكتب ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[العنكبوت: 48]، وما كان يستقيم له بيت من الشعر إلا نادرا، كل ذلك تأكيد لربانية القرآن وأنه تنزيل من حكيم

---

[1] والصحيح: ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالأخبار من لم تزود. [ابن العبد، طرفة (ت 564مـ): **ديوان طرفة بن العبد**. ط3. تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين. (بيروت: دار الكتب العلمية) 1423هـ–2002م. ص29].

[2] أصل البيت: ألم ترياني كلما جئت طارقا * وجدت بها طيبا، وإن لم تطيب. [ابن حجر، امرؤ القيس (ت 545مـ): **ديوان امرئ القيس**. ط2. تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي. (بيروت: دار المعرفة) 1425هـ–2004م. ص74].

[3] البيت للعباس بن مرداس السلمي، وأصله: أتجعل نهبي ونهب العبيد* بين عيينة والأقرع. انظر: [ابن مرداس، العباس بن مرداس: **ديوان العباس بن مرداس السلمي**. ط1. جمع وتحقيق: يحيى الجبوري. (مؤسسة الرسالة) 1412هـ–1991م. ص111].

[4] البيت لسحيم عبد بني الحسحاس، وأصله: عميرة ودع إن تجهزت غاديا * كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا. [انظر: عبد بني الحسحاس، سحيم عبد بني الحسحاس: **ديوان سحيم عبد بني الحسحاس**. تحقيق: عبد العزيز الميمني. (القاهرة: دار الكتب المصرية). 1369هـ–1950م. ص16].

[5] ابن عطية: **المحرر الوجيز**. (ج4 ص461). وانظر: البغوي: **معالم التنزيل في تفسير القرآن**. (ج4 ص21).

حميد، قال أبو السعود: "{وما ينبغي له}: وما يصح له الشعر ولا يتأتى له لو طلبه، أي: جعلناه بحيث لو أراد قرض الشعر لم يتأت له، كما جعلناه أميا لا يهتدي للخط؛ لتكون الحجة أثبت والشبهة أدحض"[1].

ويُعترض على هذا بأنه ﷺ جاء على لسانه أبيات قليلة من الشعر، كقوله: "أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ"[2]، وقوله: "هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيتِ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ"[3]، ولكن التحقيق يؤكد أن هذا جاء من غير قصد، كما يحدث لكثيرين في كلامهم ومخاطباتهم، فلا يقال عن كلامهم شعر ولا يعتبَرون به شعراء[4].

إذا فالقرآن ليس شعرا، والمُنزَل عليه القرآن لا ينطق بالشعر، بل إن صفته ليست صفة الشعراء، قال الله سبحانه: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾[الشعراء: 224-226]، ومعنى يهيمون في كل واد أنهم يخوضون في كل لغو[5]. فهل كان النبي ﷺ كذلك؟! إنه القائل: "إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ: عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ البَنَاتِ، وَمَنَعَ وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ المَالِ"[6]. وهو القائل: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ"[7]. وهل كان عليه الصلاة والسلام يقول ما لا يفعل؟! هذه سيرته بين أيدينا تؤكد نقيض ذلك، وأنه إذا أمر بشيء كان أعمَلَ الناس به، وإذا نهى

---

[1] أبو السعود: **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم.** (ج7 ص177)

[2] (متفق عليه) البخاري: **صحيح البخاري.** كتاب: الجهاد والسير، باب: من قاد دابة غيره في الحرب. (ج4 ص30). ح2864. مسلم: **صحيح مسلم.** كتاب: الجهاد والسير، باب: في غزوة حنين. (ج3 ص1400) ح1776.

[3] (متفق عليه) البخاري: **صحيح البخاري.** كتاب: الجهاد والسير، باب: من ينكب في سبيل الله. (ج4 ص18). ح2802. مسلم: **صحيح مسلم.** كتاب: الجهاد والسير، باب: ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين. (ج3 ص1421). ح1796.

[4] انظر: القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن.** (ج15 ص52).

[5] انظر: ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم.** (ج6 ص173).

[6] (متفق عليه) البخاري: **صحيح البخاري.** كتاب: في الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب: ما ينهى عن إضاعة المال. (ج3 ص120). ح2408. مسلم: **صحيح مسلم.** كتاب: الأقضية، باب: النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، والنهي عن منع وهات، وهو الامتناع من أداء حق لزمه، أو طلب ما لا يستحقه. (ج3 ص1341) ح 593.

[7] (متفق عليه) البخاري: **صحيح البخاري.** كتاب: الرقاق، باب: حفظ اللسان. (ج8 ص100) ح 6475. مسلم: **صحيح مسلم.** كتاب: الإيمان، باب: الحث على إكرام الجار والضيف، ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان. (ج1 ص68). ح47.

عن شيء كان أنْزَكَ الناس له، والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصى، يشهد له فيها المبغض قبل المحب، والبعيد قبل القريب. ناهيك عن أن ما جاء به النبي ﷺ من الكلام لم يقدر أحد على الإتيان بمثله، وأما شعر الشعراء فكله أشباه ونظائر، قال أبو حيان: "أخبر تعالى عن الشعراء بالأحوال التي تخالف حال النبوة، إذ أمرهم كما ذكر: من اتباع الغواة لهم، وسلوكهم أفانين الكلام من مدح الشيء وذمه، ونسبة ما لا يقع منهم إليهم، وذلك بخلاف حال النبوة، فإنها طريقة واحدة، لا يتبعها إلا الراشدون. دعوة الأنبياء واحدة، وهي الدعاء إلى توحيد الله وعبادته، والترغيب في الآخرة والصدق. هذا مع أن ما جاءوا به لا يمكن أن يجيء به غيرهم من ظهور المعجز"[1].

كل هذا يدل على أن اتهام النبي ﷺ بالشعر كذب واضح، وفي آية الأنبياء دلالة على عدم اقتناع الكافرين أنفسهم بهذه التهمة، قال الله تعالى: ﴿بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون﴾ [الأنبياء: 5]. فهم يوجهون التهمة ثم يلغونها، وينتقلون إلى غيرها، ثم يكررون هذا مرة أخرى؛ فيلغون التهمة الثانية وينسبون غيرها. وهذا يدل على عدم اقتناع بما يقولون، قال أبو السعود: "قالوا تخاليط الأحلام ثم أضربوا عنه فقالوا: (بل افتراه) من تلقاء نفسه من غير أن يكون له أصل أو شبه أصل، ثم قالوا: (بل هو شاعر) وما أتى به شعر يخيل إلى السامع معاني لا حقيقة لها؛ وهكذا شأن المبطل المحجوج، متحير، لايزال يتردد بين باطل وأبطل، ويتذبذب بين فاسد وأفسد"[2].

المطلب السابع: التهمة بالسذاجة:

وُجِّهت التهمة بالسذاجة إلى النبي ﷺ على لسان المنافقين، وذُكر ذلك في قول الله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾[التوبة: 61]، أي يوافق قول كل أحد ويسهل خداعه، فهو لا يفرق بين الصواب والخطأ، والحق والباطل، والصدق والكذب، قال الزمخشري: "

[1] أبو حيان: **البحر المحيط**. (ج8 ص201).

[2] أبو السعود: **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**. (ج6 ص55).

الأُذُن: الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل أحد، سُمّي بالجارحة التي هي آلة السماع، كأنّ جملته أذنٌ سامعة"[1].

وقد اتهمه المنافقون بذلك؛ لأنه كان يقبل أعذارهم عندما يتخلفون عن الغزو والقتال معه، قال ابن عطية: "وروي عن الحسن البصري، ومجاهد، أنهما تأولا أنهم أرادوا بقولهم: {هو أذن} أنه يسمع منا معاذيرنا وتنصلنا ويقبله، أي: فنحن لا نبالي عن أذاه، ولا الوقوع فيه؛ إذ هو سماع لكل ما يقال من اعتذار ونحوه، فهذا تنقُّص بقلة الحزامة والانخداع، وروي عن ابن عباس –رضي الله عنهما– وجماعة معه أنهم أرادوا بقولهم: {هو أذن} أنه يسمع كل ما ينقل إليه عنا ويصغي إليه ويقبله، فهذا تشكك منه ووصف بأنه تسوغ عنده الأباطيل والنمائم"[2].

والحقيقة أن النبي ﷺ كان يعاملهم وفق ظواهرهم ويَكِلُ سرائرهم إلى الله سبحانه، لا أنه كان يصدق جميع المعتذرين من المنافقين وتنطلي عليه أكاذيبهم وأعذارهم التافهة المتهافتة، قال صاحب المنار: "وكان ﷺ يعامل المنافقين بأحكام الشريعة وآدابها التي يعامل بها عامة المسلمين، كما أمره الله تعالى ببناء المعاملة على الظواهر، فظنوا أنه يصدق كل ما يقال له"[3].

ومما يدل على ذلك ما جاء في حديث كعب بن مالك الطويل في تخلفه عن غزوة تبوك وفيه: "وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ، فَيَرْكَعُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ المُخَلَّفُونَ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلاَنِيَتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ، فَجِئْتُهُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ المُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ: «تَعَالَ» فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: «مَا خَلَّفَكَ، أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ». فَقُلْتُ: بَلَى، إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ، لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ اليَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي، لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ، تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ، إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللَّهِ، لاَ وَاللَّهِ، مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى، وَلاَ أَيْسَرَ مِنِّي

[1] الزمخشري: **الكشاف**. (ج2 ص284).

[2] ابن عطية: **المحرر الوجيز**. (ج3 ص52).

[3] رضا: **تفسير المنار**. (ج10 ص446).

حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ»"[1]. فمفهوم المخالفة من قوله ﷺ "أما هذا فقد صدق" يدل على أن الذين اعتذروا قبله كانوا يكذبون، ولم يخف ذلك على النبي ﷺ.

وقد كان ﷺ يعامل الناس وفق علانيتهم وما يُظهرون، ليُعَلِّم المسلمين كيفية التعامل مع الآخرين بعد مماته، حيث لا وحي ولا كاشف عن خبايا القلوب ومضمر النفوس، قال عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–: "إِنَّ أُنَاسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِنَّ الوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ، وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمُ الآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا أَمِنَّاهُ وَقَرَّبْنَاهُ، وَلَيْسَ إِلَيْنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ، اللَّهُ يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نَأْمَنْهُ وَلَمْ نُصَدِّقْهُ، وَإِنْ قَالَ: إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ"[2].

والعجب من هؤلاء المنافقين الذين كانوا يكذبون على النبي ﷺ فيسترهم ولا يفضحهم! أي شيء يريدون؟! هل كانوا يودون أن يفضحهم على الملأ ويحرجهم بالمسائلة حتى يثبت للحاضرين كذبهم؟ هل هذا ما يرغبون به؟! بالتأكيد لا، بل سيودون أنه سكت عنهم وستر حالهم، فلما فعل ذلك ﷺ اتهموه بأنه غِرٌّ ساذج، يستطيع كل أحد خداعه!! أي قوم هؤلاء! جعلوا المنقبة والفضيلة تهمة يتنقّصون بها أكمل الناس وأكرم الناس ﷺ، قال القشيري: "بسطوا اللائمة في رسول الله ﷺ فعابوه بما هو أمارة كرمه، ودلالة فضله، فقالوا: إنه بحسن خلقه يسمع ما يقال له"[3]، وقد رد الله سبحانه عليهم بقوله: ﴿قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ﴾[التوبة: 61]، أي: هو أُذُن نعم، ولكن أُذُن خير لا أُذُن شر[4].

---

[1] (متفق عليه) **البخاري**: كتاب: المغازي، باب: حديث كعب بن مالك، وقول الله عز وجل: {وعلى الثلاثة الذين خلفوا} [التوبة: 118]، (ج6 ص3) ح4418. **مسلم**: **صحيح مسلم**. كتاب: التوبة، باب: حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، (ج4 ص2120). ح2769.

[2] **البخاري**: كتاب: الشهادات، باب: الشهداء العدول، (ج3 ص169). ح2641.

[3] القشيري: **لطائف الإشارات**. (ج2 ص40–41).

[4] انظر: البيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**. (ج3 ص86). بتصرف يسير.

ومن اللطائف الجميلة في الآية قوله تعالى: "يؤمن بالله ". فعدى الإيمان بالباء. وقال بعدها: "ويؤمن للمؤمنين" فعدى الإيمان باللام. والسبب أن الإيمان بالله معناه: التصديق بالله، والتصديق يعدى بالباء. أما الإيمان للمؤمنين فمعناه: الاستماع للمؤمنين. والاستماع يعدى باللام[1].

---

[1] انظر: الرازي: **مفاتيح الغيب.** (ج16 ص90).

المبحث الثاني

التهم الأخلاقية

المطلب الأول: التهمة بالزنا:

التهمة بفاحشة الزنا اتُّهم بها ثلاثة من المؤمنين، كما حدَّث بذلك القرآن الكريم، وهم يوسف –عليه السلام– في قول الله سبحانه: ﴿قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[يوسف: 25] ومريم ابنة عمران في قول الله تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَـٰنًا عَظِيمًا﴾[النساء: 156]، وعائشة –رضي الله عنها– في حادثة الإفك، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِىٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[النور: 11].

فيوسف –عليه السلام– اتهمته بذلك امرأة العزيز؛ بعدما دعته هي إلى الفاحشة فأبى وامتنع، قال الله سبحانه: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾[يوسف: 23]، ولم يتوقف الأمر عند حد المراودة، بل أُتْبِعت ذلك بالتنفيذ فهَمَّت به، وبفضل الله ثبت يوسف –عليه السلام–. ثم هرب إلى الباب فرارا منها، فتبعته وأمسكت قميصه من خلفه تجذبه، فشقّت قميصه، ولما فتح يوسف الباب إذ بزوج المرأة خلفه، فعندها كانت التهمة من المرأة بحقه –عليه السلام– بأنه هو المعتدي[1]، قال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[يوسف: 25]، فدفع يوسف –عليه السلام– التهمة عن نفسه، وقال إنها هي الفاعلة: ﴿قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ﴾[يوسف: 26]، فقام شاهد من أهلها يقول: إن القميص يُبَيِّنُ الصادق من الكاذب، فإن كان شُق من الأمام فهي صادقة؛ لأن ذلك يدل على انها كانت تبعده عن نفسها، وإن كان شُق من الخلف فهو صادق، فذلك يدل على هربه

---

[1] انظر: ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم.** (ج4 ص383).

ومحاولتها رده[1]، قال الله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[يوسف: 26-27]، وظهر الحق في الحال لمّا رأوا القميص مشقوقا من الخلف، وأيقن أهل البيت أن يوسف -عليه السلام- هو الصادق؛ وظهر ذلك على لسان المتكلم سواء كان زوجها أو الشاهد بقوله: {إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم} وقوله: {واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين}[2]. قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾[يوسف: 28-29]، وبهذا الدليل القاطع تبين اندفاع التهمة عن يوسف -عليه السلام-، ثم ورد ما يحسم الأمر تماما لمّا اعترفت المرأة بفعلها، حين طلب العزيز رؤية يوسف بعد تأوليه الرؤيا، قال الله سبحانه: ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[يوسف: 51] قال ابن عطية: "ثم أقرّت على نفسها بالمراودة، والتزمت الذنب، وأبرأت يوسف البراءة التامة"[3].

أمّا مريم عليها السلام فقد اتهمها بنو إسرائيل بالزنا لمّا جاءت بمولود ولم تكن ذات زوج، قال الله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[مريم: 27-28]، فلما خاطبوها بذلك أشارت إليه ولم تتكلم؛ لأن الله أمرها بالسكوت، كما في قول الله سبحانه: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾[مريم: 26]، وأُمِرت بالسكوت لأن الخارق للعادة لا يُفَسَّر بالكلام، فمهما تكلّمَتْ وبيّنَتْ لن تُقنِع أحدا بأن ابنها بدون أب، والخارق لا يثبت بالمنطق فهو خارج عن قواعده، الخارق لا يفسر إلا بخارق. لذا تولّى الله سبحانه الدفاع عنها وتبرئتها بإنطاق ابنها في مهده: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾[مريم: 29-30]، وكان هذا تبرئة لساحة مريم عليها السلام مما ظُنّ بها من السوء، قال

[1] انظر: المرجع السابق. (ج4 ص383).

[2] انظر: البغوي: **معالم التنزيل في تفسير القرآن**. (ج2 ص488).

[3] ابن عطية: **المحرر الوجيز**. (ج3 ص253).

الرازي: "{إني عبد الله}: وصار ذكره لهذه الكلمة سببا لطهارة أمه، ولبراءة وجوده عن الطعن، وصار مفتاحا لكل الخيرات، ودافعا لكل الآفات"[1]، وقال ابن كثير: "وقوله: {آتاني الكتاب وجعلني نبيا}: تبرئة لأمه مما نسبت إليه من الفاحشة"[2]، ولكن العجيب من بني إسرائيل أنهم استمروا في اتهامها؛ مع شهودهم ذلك الموقف العجيب الذي يؤكد أن ما هم أمامه أمر خارق مستثنى من سنة التناسل والتكاثر، وأن هذا المولود جاء حقا بدون أب، سمعوه يتكلم في مهده، ومع ذلك استمروا في تكذيبه، فنسبوا أمه إلى الزنا، ونعتوه –عليه السلام– بأنه ولد زنا.

وأما عائشة –رضي الله عنها– فقد اتهمها بذلك بداية رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول، وهو الذي تولى كبره منهم، كما صرحت هي بذلك –في حديث الإفك– ومعنى (الذي تولى كبره) "والذي تحمّل أكبره"[3]. أي: أكبر إثم الإفك؛ لأن من خاض فيه بعد ذلك كان بسببه، فهو يحمل أوزارهم جميعا، كما قال الله تعالى: ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾[النحل: 25].

وفي حديث الإفك تفصيل القصة وسبب التهمة، وفيه تبرئتها، فأسوقه بتمامه، وهو في الصحيحين من حديث عائشة –رضي الله عنها– قالت: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا، خَرَجَ بِهَا مَعَهُ، فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزَاةٍ غَزَاهَا، فَخَرَجَ سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَهُ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الحِجَابُ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجٍ، وَأُنْزَلُ فِيهِ، فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ ، وَقَفَلَ وَدَنَوْنَا مِنَ المَدِينَةِ آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ، فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ، فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ، فَلَمَسْتُ صَدْرِي، فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ جَزْعِ أَظْفَارٍ[4] قَدِ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ، فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي، فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ، فَأَقْبَلَ الَّذِينَ يَرْحَلُونَ لِي، فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي، فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، وَكَانَ

---

[1] الرازي: **مفاتيح الغيب**. (ج1 ص214).

[2] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**. (ج5 ص228).

[3] الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**. (ج19 ص117).

[4] نوع من الخرز، وقيل: هو جزع ظفار وهي مدينة باليمن يكون فيها هذا الجزع. انظر: الحميدي، محمد بن فتوح (ت488هـ): **تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم**. ط1. تحقيق: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز. (القاهرة: مكتبة السنة). 1415هـ–1995م. (ج1 ص531).

النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يَثْقُلْنَ وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، وَإِنَّمَا يَأْكُلْنَ العُلْقَةَ مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ القَوْمُ حِينَ رَفَعُوهُ ثِقَلَ الهَوْدَجِ، فَاحْتَمَلُوهُ وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الجَمَلَ وَسَارُوا، فَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الجَيْشُ، فَجِئْتُ مَنْزِلَهُمْ وَلَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ، فَأَمَمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ بِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونَنِي، فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ غَلَبَتْنِي عَيْنَايَ، فَنِمْتُ وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ المُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الجَيْشِ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي، فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ، فَأَتَانِي وَكَانَ يَرَانِي قَبْلَ الحِجَابِ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَوَطِئَ يَدَهَا، فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الجَيْشَ بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُعَرِّسِينَ[1] فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى الإِفْكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، فَقَدِمْنَا المَدِينَةَ، فَاشْتَكَيْتُ بِهَا شَهْرًا وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ مِنْ قَوْلِ أَصْحَابِ الإِفْكِ، وَيَرِيبُنِي فِي وَجَعِي، أَنِّي لاَ أَرَى مِنَ النَّبِيِّ ﷺ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَمْرَضُ، إِنَّمَا يَدْخُلُ فَيُسَلِّمُ، ثُمَّ يَقُولُ: «كَيْفَ تِيكُمْ»، لاَ أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى نَقَهْتُ، فَخَرَجْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ المَنَاصِعِ مُتَبَرَّزُنَا لاَ نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الكُنُفَ قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا، وَأَمْرُنَا أَمْرُ العَرَبِ الأُوَلِ فِي البَرِّيَّةِ أَوْ فِي التَّنَزُّهِ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ بِنْتُ أَبِي رُهْمٍ نَمْشِي، فَعَثَرَتْ فِي مِرْطِهَا[2]، فَقَالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ، فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتِ، أَتَسُبِّينَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا، فَقَالَتْ: يَا هَنْتَاهْ[3]، أَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالُوا؟ فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الإِفْكِ، فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَسَلَّمَ فَقَالَ: «كَيْفَ تِيكُمْ»، فَقُلْتُ: ائْذَنْ لِي إِلَى أَبَوَيَّ، قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَيْتُ أَبَوَيَّ فَقُلْتُ لِأُمِّي: مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ؟ فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ هَوِّنِي عَلَى نَفْسِكِ الشَّأْنَ، فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتِ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرُ، إِلَّا أَكْثَرْنَ عَلَيْهَا، فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَقَدْ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِهَذَا، قَالَتْ: فَبِتُّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي

[1] التعريس: نزول المسافر آخر الليل نزلة للنوم والاستراحة. انظر: ابن الأثير: **النهاية في غريب الحديث والأثر**. (ج3 ص206).

[2] كساء من صوف أو خزّ يؤتزر به. انظر: الهروي: **تهذيب اللغة**. (ج13 ص234).

[2] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**. (ج7 ص436).

[3] أي: يا هذه. انظر: ابن الأثير: **النهاية في غريب الحديث والأثر**. (ج5 ص279).

طَالِبٍ، وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ[1] حِينَ اسْتَلْبَثَ الوَحْيُ، يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، فَأَمَّا أُسَامَةُ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الوُدِّ لَهُمْ، فَقَالَ أُسَامَةُ: أَهْلُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلاَ نَعْلَمُ وَاللَّهِ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَسَلِ الجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَرِيرَةَ [2]، فَقَالَ: «يَا بَرِيرَةُ هَلْ رَأَيْتِ فِيهَا شَيْئًا يَرِيبُكِ؟»، فَقَالَتْ بَرِيرَةُ: لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، إِنْ رَأَيْتُ مِنْهَا أَمْرًا أَغْمِصُهُ[3] عَلَيْهَا قَطُّ، أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنِ العَجِينِ، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ يَوْمِهِ، فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي»، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ[4]، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا وَاللَّهِ أَعْذُرُكَ مِنْهُ إِنْ كَانَ مِنَ الأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا، فَفَعَلْنَا فِيهِ أَمْرَكَ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ[5] –وَهُوَ سَيِّدُ الخَزْرَجِ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا وَلَكِنِ احْتَمَلَتْهُ الحَمِيَّةُ– فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ، لاَ تَقْتُلُهُ، وَلاَ تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ، فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَنَقْتُلَنَّهُ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ المُنَافِقِينَ، فَثَارَ الحَيَّانِ الأَوْسُ، وَالخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى المِنْبَرِ، فَنَزَلَ، فَخَفَّضَهُمْ حَتَّى

---

[1] هو أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل، أمه أم أيمن حاضنة النبي ﷺ، فهو وأيمن أخوان لأم، ويكنى أسامة: أبا محمد، وقيل: أبو زيد، وقيل: أبو خارجة، وهو مولى رسول الله ﷺ من أبويه، وكان يسمى: حب رسول الله. واستعمله النبي ﷺ وهو ابن ثماني عشرة سنة. توفي آخر أيام معاوية؛ سنة ثمان أو تسع وخمسين. [انظر: ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله (ت 463هـ): **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**. تحقيق: علي محمد البجاوي. ط1. (بيروت: دار الجيل). 1412هـ–1992م. (ج1 ص194)].

[2] بريرة مولاة عائشة بنت أبي بكر الصديق، كانت مولاة لبعض بني هلال فكاتبوها، ثم باعوها من عائشة، وجاء الحديث فِي شأنها بأن الولاء لمن أعتق. وعتقت تحت زوج، فخيرها رَسُول اللَّهِ ﷺ فكانت سنة. [انظر: المرجع السابق: (ج4 ص1795).

[3] غمصت فلَانا أغمصه غمصا، واغتمصته اذا استصغرته واحتقرته. انظر: ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت276هـ): **غريب الحديث**. تحقيق: عبد الله الجبوري. ط1. (بغداد: مطبعة العاني). 1397هـ. (ج2 ص141).

[4] سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل، يكنى أبا عمرو. وأمه كبشة بنت رافع، لها صحبة، أسلم بالمدينة بين العقبة الأولى والثانية، على يدي مصعب بن عمير، وشهد بدرا، وأحدا، والخندق، ورمى يوم الخندق بسهم فعاش شهرا ثم انتقض جرحه فمات منه. [انظر: ابن عبد البر: **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**. (ج2 ص602)].

[5] سعد بْن عبادة بْن دليم بْن حارثة بْن أَبِي حزيمة، كان سيدًا جوادًا، وهو صاحب راية الأنصار في المشاهد كلها، وكان وجيهًا في الأنصار، ذا رياسة وسيادة، يعترف قومه له بها، يقال: لم يكن في الأوس ولا في الخزرج أربعة يطعمون يتوالون في بيت واحد إلا قيس بْن سعد بْن عبادة بْن دليم، وله ولأهله في الجود أخبار حسنة، مات سنة خمس عشرة، وقيل: سنة أربع عشرة. [انظر: ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت 630هـ): **أسد الغابة في معرفة الصحابة**. (بيروت: دار الفكر). 1409هـ–1989م. (ج2 ص204)].

سَكَتُوا، وَسَكَتَ وَبَكَيْتُ يَوْمِي لاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، فَأَصْبَحَ عِنْدِي أَبَوَايَ، وَقَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا حَتَّى أَظُنُّ أَنَّ البُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي، قَالَتْ: فَبَيْنَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي، وَأَنَا أَبْكِي، إِذِ اسْتَأْذَنَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَأَذِنْتُ لَهَا، فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجَلَسَ وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مِنْ يَوْمِ قِيلَ فِيَّ مَا قِيلَ قَبْلَهَا، وَقَدْ مَكَثَ شَهْرًا لاَ يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي شَيْءٌ، قَالَتْ: فَتَشَهَّدَ ثُمَّ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً، فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ العَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ، ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ»، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتَهُ، قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً، وَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيمَا قَالَ، قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، لاَ أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ القُرْآنِ، فَقُلْتُ: إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ سَمِعْتُمْ مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ، وَوَقَرَ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنِّي لَبَرِيئَةٌ لاَ تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُنِّي، وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا، إِلَّا أَبَا يُوسُفَ إِذْ قَالَ: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ، وَاللَّهُ المُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ}[يوسف: 18]، ثُمَّ تَحَوَّلْتُ عَلَى فِرَاشِي وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يُبَرِّئَنِي اللَّهُ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا ظَنَنْتُ أَنْ يُنْزِلَ فِي شَأْنِي وَحْيًا، وَلَأَنَا أَحْقَرُ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِالقُرْآنِ فِي أَمْرِي، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ، فَوَاللَّهِ مَا رَامَ مَجْلِسَهُ وَلاَ خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ البَيْتِ، حَتَّى أُنْزِلَ عَلَيْهِ الوَحْيُ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ البُرَحَاءِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الجُمَانِ مِنَ العَرَقِ فِي يَوْمٍ شَاتٍ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا، أَنْ قَالَ لِي: «يَا عَائِشَةُ احْمَدِي اللَّهَ، فَقَدْ بَرَّأَكِ اللَّهُ»، فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: لاَ وَاللَّهِ، لاَ أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلاَ أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ}"[1].

هذا الحديث فيه من الدروس والعبر الشيء الكثير، وما يهم من ذلك هو ما يتعلق ببراءة عائشة –رضي الله عنها–، وهو ما استدلت به بريرة الجارية لما قالت: (لا والذي بعثك بالحق، إن

[1] (متفق عليه) البخاري: البخاري: **صحيح البخاري**. كتاب: الشهادات، باب: تعديل النساء بعضهن بعضا. (ج3 ص173). ح2661. مسلم: **صحيح مسلم**. كتاب: التوبة، باب: في حديث الإفك وقبول توبة القاذف. (ج4 ص2129). ح2770.

رأيت منها أمرا أغمصه عليها قط، أكثر من أنها جارية حديثة السن، تنام عن العجين، فتأتي الداجن فتأكله)، تشير بذلك إلى نقاوة قلب عائشة، وأن شخصيتها البسيطة البريئة بعيدة كل البعد عن هذا التفكير وهذا الفعل، وهذه الصفة هي المقصودة بقول الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[النور: 23]، قال الزمخشري: "الغافلات السليمات الصدور، النقيات القلوب، اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر، لأنهن لم يجربن الأمور ولم يرُزْن الأحوال، فلا يفطن لما تفطن له المجربات العرافات"[1].

المطلب الثاني: التهمة بالسرقة:

جاءت التهمة بالسرقة على لسان إخوة يوسف –عليه السلام–، وقد وجهوها إليه في حضرته وهم لا يعلمون أنه يوسف، وذلك بعد إخراجه صاع الملك من وعاء أخيه، كما دبر لذلك مسبقا ليبقي أخاه عنده، قالوا عندما رأوا الصاع في وعاء أخيهم: ﴿قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾[يوسف: 77]. وهم يقصدون بذلك يوسف –عليه السلام–. فما السبب في تهمتهم هذه في حق أخيهم يوسف وهو نبي من أنبياء الله تعالى؟ تعددت الروايات في ذلك، وهذا بيان موجز لها، مع التنبيه على أنها جميعا روايات إسرائيلية، أوردها لعرض ما ذكرته كتب التفسير فقط:

قال ابن عطية: "وأما ما روي في سرقة يوسف فثلاثة وجوه: الجمهور منها على أن عمته كانت ربته، فلما شب أراد يعقوب أخذه منها، فولعت به وأشفقت من فراقه، فأخذت منطقة إسحاق –وكانت متوارثة عندهم– فنطقته بها من تحت ثيابه، ثم صاحت وقالت: إني قد فقدت المنطقة ويوسف قد خرج بها، ففتشت فوجدت عنده، فاسترقّته –حسبما كان في شرعه– وبقي عندها حتى ماتت فصار عند أبيه. وقال ابن إدريس عن أبيه: إنما أكل بنو يعقوب طعاما فأخذ يوسف عرقا فخبأه فرموه لذلك بالسرقة، وقال سعيد بن جبير وقتادة: إنما أمرته أمه أن يسرق صنما لأبيها،

[1] الزمخشري: **الكشاف**. (ج3، ص222–223).

فسرقه وكسره، وكان ذلك -منها ومنه- تغييرا للمنكر، فرموه لذلك بالسرقة، وفي كتاب الزجاج: أنه كان صنم ذهب"[1].

ونقل البغوي عن بعض الأئمة أن سرقة يوسف الطعام عندما كان صغيرا إنما كان لأجل الفقراء: "وقال مجاهد: إن يوسف جاءه سائل يوما فأخذ بيضة من البيت فناولها السائل. وقال سفيان بن عيينة: أخذ دجاجة من الطير التي كانت في بيت يعقوب فأعطاها سائلا. وقال وهب: كان يخبىء الطعام من المائدة للفقراء"[2]. هذا ما أورده المفسرون من روايات عن سرقة يوسف -عليه السلام- وهو صغير، وكما بيّنتُ فإن هذه الروايات لم تأت من طريق الوحي إلى النبي ﷺ ولكنها من روايات أهل الكتاب، فلا يصح الاعتماد عليها بحال.

وإذا نظرنا إلى هذه الروايات مع سقوطها وضعفها تبين لنا أنها جميعا تتفق في أن السرقة لم تكن حقيقية ولكنها -كما يظهر-: إما إلصاق تهمة به كما هي رواية المنطقة والتي رجحها الجمهور، أو كانت إحسانا إلى الفقراء منه -عليه السلام-، وهو إذ ذاك صغير لا يحسن دقائق الفقه مثل معرفة أن الصدقة يجب أن تكون من حلال، أو هي من باب تغيير المنكر. فكل ذلك لا يصح إطلاق السرقة عليه. لذلك رد عليهم -عليه السلام- بقوله: {أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون}. وهو يقصد أن فعلهم هم حيث سرقوه من أبيه شر واضح وسرقة بيّنة، بينما اتهامهم له بالسرقة لا حقيقة له، والله يعلم أنه باطل. قال الزمخشري: "ومعنى {شر مكانا}: أنتم شر منزلة في السرقة، لأنكم سارقون بالصحة، لسرقتكم أخاكم من أبيكم {والله أعلم بما تصفون} يعلم أنه لم يصح لي ولا لأخي سرقة، وليس الأمر كما تصفون"[3]. فعلى فرض صحة هذه الروايات فإنها لا تحمل قدحا ولا جرحا لمقام يوسف -عليه السلام-.

وقد ذكر بعض العلماء أن إخوة يوسف كذبوا في ذلك، ولم يكن من يوسف -عليه السلام- شيء يتعلق بالسرقة[4].

---

[1] ابن عطية: **المحرر الوجيز**. (ج3 ص266).

[2] البغوي: **معالم التنزيل في تفسير القرآن**. (ج2 ص506).

[3] الزمخشري: **الكشاف**. (ج2 ص493).

[4] انظر: الرازي: **مفاتيح الغيب**. (ج18 ص490). وانظر: القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**. (ج9 ص239).

ورجح الشوكاني هذا القول؛ بحجة أنه قد أُثر عنهم الكذب قبل ذلك، فلا يُستغرب منهم هنا[1]. وهذا القول هو الراجح إن شاء الله؛ لأن فيه تنزيها لنبي الله يوسف –عليه السلام–، ولأن الروايات التي أخبرت عن هذه التهمة ليست مصدرا موثوقا يمكن التعويل عليه، فكتب أهل الكتاب قد دخلها ما دخل، ومما يُستأنس به كذلك في رد هذه التهمة قول يوسف نفسه –عليه السلام–: {أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون}.

المطلب الثالث: التهمة بالكذب:

لئن كانت تهمة السحر وتهمة الجنون قد كثر نسبتهما إلى الأنبياء عليهم السلام؛ إلا أن الكذب هو التهمة الأوسع انتشارا على الإطلاق، ومما ورد في القرآن من ذلك: اتهام الأنبياء نوح وهود وصالح وشعيب وموسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام بها، قال الله تعالى في حق نوح: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ﴾[القمر: 9]، وقال في هود: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[الأعراف: 66]، وقال حكاية عن قوم صالح: ﴿أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ﴾[القمر: 25]، وقال عن مقالة أصحاب الأيكة في شعيب: ﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[الشعراء: 186]، وقال في حق موسى: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[القصص: 38]، وقال عن أهل مكة: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ﴾[ص :4]، وأخبر الله سبحانه عن موقف بني إسرائيل من الأنبياء والرسل الذين أُرسلوا إليهم، وكيف أنهم قتلوا بعضهم وكذبوا آخرين، قال سبحانه: ﴿لَقَدۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ رُسُلٗاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ فَرِيقٗا كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ﴾[المائدة: 70].

[1] انظر: الشوكاني: **فتح القدير**. (ج3 ص54). وانظر: ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (ج13 ص34).

وجاء في القرآن في آيات عديدة أن رسلا كثيرين كُذبوا قبل النبي ﷺ، وفي بيان ذلك عون له ﷺ على الثبات، عندما يعلم أن ما تعرض له من الأذى ليس مقتصرا عليه، بل هو في حياة كل نبي وداعية إلى الله –عز وجل–، قال الله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾[آل عمران: 184]. وقال: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[الأنعام: 34]. وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[1][يوسف: 110].

ومما يجدر التنبيه إليه في الآيات المتقدمة؛ أنّ الظن الوارد في التهم الموجهة إلى هود وشعيب وموسى عليهم السلام؛ وفي آية يوسف الأخيرة هو الظن بمعنى اليقين، ليُعلم أنهم اتهموهم صراحة بالكذب وليس مجرد شك، ذلك أنّ كل ظنّ جاء في القرآن متصلا بـ "أنّ" المشددة فهو بمعنى اليقين، قال السيوطي في بيان الضابط الثاني الذي يفرق بين "ظن" التي هي للشك و"ظن" التي هي لليقين: "والثاني: أن كل ظن يتصل بعده "أنْ" الخفيفة فهو شك نحو: {بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول}، وكل ظن يتصل به "أنّ" المشددة فهو يقين كقوله: {إني ظننت أني ملاق حسابيه}، {وظن أنه الفراق} وقُرئ: "وأيقن أنه الفراق"، والمعنى في ذلك أن المشددة للتأكيد فدخلت على اليقين والخفيفة بخلافها فدخلت في الشك"[2].

والتهمة بالكذب ليس لها سبب محدد يمكن أن ترجع إليه، ولكن يعبر بها الناس عند إنكارهم ورفضهم لما يسمعون من أخبار وادعاءات، وهذه التهمة ظاهرة البطلان في حق جميع الأنبياء عليهم السلام، وفي حق نبينا ﷺ خاصة؛ لِمَا وصل إلينا من سيرته دون غيره من الأنبياء، وفيما يلي بيان ما يُرَدُّ به عليها:

---

[1] في بعض القراءات المتواترة "كُذّبوا" بتشديد الذال، وفي بعض القراءات كذلك " فنُنْجي" بنونين وتخفيف الجيم وإسكان الياء. انظر: ابن الجزري: **النشر في القراءات العشر**. (ج2 ص222).

[2] السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ): **الإتقان في علوم القرآن**. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب). 1394هـ–1974م. (ج2 ص236–237).

أولا: أقوى الردود هو شهادة أعدائه ﷺ بصدقه طوال حياته معهم قبل النبوة، والتي امتدت أربعين عاما، فليس الكلام عن سنة أو سنتين، وليست هي شهادة رجل أو رجلين، بل شهادة قومه كافة طوال هذه المدة، فقد جاء في صحيح البخاري من حديث ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: " لَمَّا نَزَلَتْ: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} [الشعراء: 214]، صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: «يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ» –لِبُطُونِ قُرَيْشٍ– حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ اليَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ} [المسد: 2]"[1].

هذه الشهادة وحدَها كافية في الرد على تهمة الكذب؛ لأمرين:

أحدهما: أنه لا يمكن لإنسان أن يكتم صفة معينة مدة طويلة دون أن تنكشف أو يلاحظها أحد، بل لا بد من ظهورها إن لم يكن عمدا فسهوا، ولمّا كانت سيرته ﷺ أنقى من ماء السماء تأكد بطلان هذه التهمة، قال محمد عبد الله دراز: "ذلك أن للحقيقة قوة غلّابة تنفذ من حجب الكتمان، فتُقرأ بين السطور وتُعرف في لحن القول، والإنسان مهما أمعن في تصنّعه ومداهنته لا يخلو من فلتات في قوله وفعله تنم على طبعه إذا أحفظ أو أخرج أو احتاج أو ظفر أو خلا بمن يطمئن إليه، ومهما تكن عند امرئ من خليقة * وإن خالها تخفى على الناس تُعلم[2]، فما ظنّك بهذه الحياة النبوية التي تعطيك في كل حلقة من حلقاتها مرآة صافية لنفس صاحبها؛ فتريك باطنه من ظاهره، وتريك الصدق والإخلاص ماثلًا في كل قول من أقواله وكل فعل من أفعاله"[3]، ومن الأقوال المأثورة التي تؤكد هذه الفكرة، ما جاء على لسان أحد رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية، وهو أبراهام

---

[1] **البخاري: صحيح البخاري.** كتاب: تفسير القرآن. باب: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك﴾[الشعراء: 215] ألن جانبك. (ج6 ص111). ح4770.

[2] هذا البيت لزهير بن أبي سلمى. [انظر: ابن أبي سلمى، زهير بن أبي سلمى (ت 609 م): **ديوان زهير بن أبي سلمى.** ط1. شرح وتقديم: علي حسن فاعور. (بيروت: دار الكتب العلمية). 1408هـ–1988م. ص111].

[3] دراز، محمد بن عبدالله (ت 1377هـ): **النبأ العظيم.** (دار القلم للنشر والتوزيع). 1426هـ–2005م. ص64.

لينكولن حيث قال: "يمكن أن تخدع كل الناس بعض الوقت، وبعض الناس كل الوقت، لكنك لن تستطيع خداع كل الناس كل الوقت"[1].

ثانيهما: ويُستدَلّ من هذه الحياة الطويلة الصادقة للنبي ﷺ، أنه لا يمكن أن يترفع الإنسان عن الخطأ الصغير مدة طويلة جدا ثم يرتكب جريمة فاحشة نكراء، وهذا استدل به هرقل على صدقه ﷺ كما جاء في صحيح البخاري، في حديث لقاء أبي سفيان بن حرب بهرقل عظيم الروم، قال هرقل: "وَسَأَلْتُكَ، هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ، فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ"[2]، فهل ترك الكذب على الناس أربعين سنة، ثم فجأة أخذ يكذب على الله سبحانه بادعائه أن الله أرسله! هذا لا يكون أبدا.

ثانيا: وجود آيات العتاب له ﷺ، وهذا يدل دلالة قاطعة على أن هذا الكلام ليس من صنعه وتأليفه. إذ لا يعقل أن يأتي الإنسان بكلام يؤنّب فيه نفسه ويعاتبها، ثم ينشره بين الناس! ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[التحريم: 1]، وقوله: ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُ﴾[الأحزاب: 37]، وقوله: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ﴾[عبس: 5-10]، فلو كان القرآن من عند محمد ﷺ وهو كاذب كما قالوا لما وُجِدَ أمثال هذه الآيات[3]، ومن ذلك الآية التي تبيّن مصير النبي ﷺ لو اختار أن يتقوّل على الله سبحانه وينسب إليه ما ليس منه، وهذا لا يكون أبدا، ولكن فيه رد على الكافرين الذين ادعوا أنه كاذب، قال الله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ﴾[الحاقة: 44-46]. قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: ولكنه {تنزيل من رب العالمين}: نزل عليه، {ولو تقول علينا}: محمد، {بعض الأقاويل}: الباطلة، وتكذب علينا، {لأخذنا منه باليمين}

[1] لينكولن، أبراهام لينكولن (ت 1809م): **أبراهام لينكولن إرث من الحرية**. الناشر: وزارة الخارجية الأمريكية، مكتب برامج الإعلام الخارجي. 2008م. ص44.

[2] البخاري: **صحيح البخاري**. كتاب: بدء الوحي. باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟ (ج1 ص8). ح7.

[3] انظر: دراز: **النبأ العظيم**. ص5.

يقول: لأخذنا منه بالقوة منا والقدرة، ثم لقطعنا منه نياط القلب، وإنما يعني بذلك أنه كان يعاجله بالعقوبة، ولا يؤخره بها"[1].

ومن الآيات كذلك، آية الإفك ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ﴾[النور: 11]. التي برأت عائشة –رضي الله عنها– من الفاحشة، وذلك أنها نزلت بعد شهر كامل من بدء الشائعة المفتراة[2]، أي أن الناس لبثوا شهرا يلوكون عرضَه ﷺ وهو لا يجزم بشيء؛ لأن الوحي لم ينزل عليه بشيء، فلو كان كاذبا في ادعائه ان القرآن كلام الله تعالى؛ وهو في الحقيقة من كلامه كما قالوا؛ لأنشأ من أول يوم كلاما من عند نفسه ينسبه إلى الله –عز وجل– ويبرئ زوجه مما اتهمت به، وبذلك يريح نفسه ويحمي عرضه من جميع الألسنة الفاسدة المفسدة[3]. ولكن ذلك لم يحدث؛ لأنه ﷺ صادق بأنه رسول الله مبلغ عن الله تبارك وتعالى، ينتظر ما يُنزل عليه مولاه، وليس له ﷺ من الأمر شيء سوى التبليغ.

ثالثا: ومما يستدل به على صدقه ﷺ صورة محيّاه، وملامح وجهه، وحسن سمته، وهذا ما أشار إليه عبد الله بن سلام –رضي الله عنه–، فقد قال: " لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلاَمَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِسَلاَمٍ"[4].

المطلب الرابع: التهمة بالسعي وراء السلطة والملك:

لا شك في أن النبوة قيادة ورئاسة، فالنبي مبعوث رب العالمين سبحانه، وحامل رسالته وأوامره إلى خلقه، يصطفيه الله تعالى ليسوس الناس وفق ما يريده جل وعلا. والاستجابة للرسول

---

[1] الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن.** (ج23ص592).

[2] انظر: ص56 من هذه الدراسة.

[3] انظر: دراز: **النبأ العظيم.** ص24.

[4] الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة (ت279 هـ): **جامع الترمذي.** تحقيق: بشار عواد معروف. (بيروت: دار الغرب الإسلامي). 1998م. أبواب: صفة القيامة والرقائق والورع. (ج4 ص233). ح2485. قال الترمذي: هذا حديث صحيح. ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني (ت 273هـ): **سنن ابن ماجة.** تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. ومذيل بحكم الألباني (دار إحياء الكتب العربية). كتاب: الأطعمة، باب: إطعام الطعام. (ج2 ص1083). ح3251. وصححه الشيخ الألباني.

تعني الإقرار باتباعه والانقياد له، لذلك كان أكثر الناس تكذيبا للرسل، وأسرعهم إنكارا لدعوتهم؛ السادةُ الأشراف؛ لما في الاستجابة للأنبياء من إبعادهم عن سُدّة الحكم والرئاسة، قال الرازي: "فالنبي إذا اعترف القوم بصدقه صارت مقاليد أمر أمته إليه، فصار أكبر القوم"[1]. وهؤلاء الأشراف هم المُعَبّر عنهم في القرآن بلفظ "الملأ"، كقول الله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[الأعراف: 60]. وقوله: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ﴾[الأعراف: 90]، وقوله: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾[الأعراف: 109]. وسُمُّوا بذلك لأنهم يملؤون العيون إجلالا ومهابة[2].

وقد ذكر القرآن اتهام الكفار لثلاثة من الأنبياء بالسعي وراء السلطة والملك، أولهم نوح –عليه السلام–، قال الله تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾[المؤمنون: 24]. فسادة القوم يتّهمون نوحا بأنه أراد من هذا الادعاء أن يصير ملكا مطاعا وقائدا مُتَّبَعا، وليس هو في الحقيقة نبيا مرسلا، قال ابن جرير: "{يريد أن يتفضل عليكم} يقول: يريد أن يصير له الفضل عليكم، فيكون متبوعا وأنتم له تبع"[3]، وقال الرازي وهو يعدد شبهات المكذبين لنبي الله نوح –عليه السلام– في هذه الآية: "والثاني: أن يقال هذا الإنسان مشارك لكم في جميع الأمور، ولكنه أحب الرياسة والمتبوعية فلم يجد إليهما سبيلا إلا بادعاء النبوة، فصار ذلك شبهة لهم في القدح في نبوته، فهذا الاحتمال متأكد بقوله تعالى خبرا عنهم: {يريد أن يتفضل عليكم} أي: يريد أن يطلب الفضل عليكم ويرأسكم"[4].

والنبي الثاني الذي اتهم بذلك هو موسى –عليه السلام–، وذلك في قول الله سبحانه: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾[يونس:78] ففسر فرعون المتغطرس وبطانته السيئة ما جاء به موسى وهارون عليهما

[1] الرازي: **مفاتيح الغيب.** (ج17 ص287).
[2] انظر: الراغب: **معجم مفردات ألفاظ القرآن.** (ص357).
[3] الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن.** (ج19 ص25).
[4] الرازي: **مفاتيح الغيب.** (ج23 ص271).

السلام أنه محاولة لنيل الملك والسيطرة على البلاد والعباد، قال صاحب المنار: "هذا استفهام توريط وتقرير تجاه ما أورده موسى –عليه السلام– من استفهام الإنكار والتعجيب، فَحْواه: أتقر وتعترف بأنك جئتنا لتصرفنا وتحولنا عما وجدنا عليه آباءنا وأجدادنا من الدين القومي الوطني لنتبع دينك، وتكون لك ولأخيك كبرياء الرياسة الدينية، وما يتبعها من كبرياء الملك والعظمة الدنيوية التابعة لها في أرض مصر كلها؟ يعنون أنه لا غرض لك من دعوتك إلا هذا، وإن لم تعترف به اعترافا"[1]، وقد شركوا هارون كذلك في هذه التهمة؛ لأنه كان مع موسى –عليهما السلام–، فظنوا أنه جاء لينال من سيادة أخيه حظا لنفسه[2].

والنبي الثالث هو رسول الله محمد ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ﴾[ص: 6]، قال ابن جرير: "وقوله: {إن هذا لشيء يراد}: أي إن هذا القول الذي يقول محمد، ويدعونا إليه، من قول لا إله إلا الله، شيء يريده منا محمد يطلب به الاستعلاء علينا، وأن نكون له فيه أتباعا ولسنا مجيبيه إلى ذلك"[3]. وقال الرازي: "قال القفال: هذه كلمة تذكر للتهديد والتخويف، وكأن معناها أنه ليس غرض محمد من هذا القول تقرير الدين، وإنما غرضه أن يستولي علينا، فيحكم في أموالنا وأولادنا بما يريد"[4].

وهذه التهمة في حق النبي ﷺ ظاهرة البطلان؛ لأن قريشا عرضوا عليه الملك في مقابل تخليه عن دعوته وفكرته فرفض، وقد ذكر ابن هشام في سيرته الحوارَ الذي دار بين النبي ﷺ وبين عتبة بن ربيعة، وهو الذي جاء بهذا العرض للنبي ﷺ "قال عتبة: فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، قال: فقال له رسول الله ﷺ: قل يا أبا الوليد، أسمع، قال: يا بن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به شرفا سوّدناك علينا، حتى لا نقطع أمرا دونك، وإن كنت تريد به مُلكا ملَّكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رِئْيًا تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب، وبذلنا

---

[1] رضا، محمد رشيد: **تفسير المنار**. 12 مج. (الهيئة المصرية العامة للكتاب). 1990م. (ج، ص381).

[2] انظر: ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (ج11 ص252).

[3] الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**. (ج19 ص25).

[4] الرازي: **مفاتيح الغيب**. (ج26 ص368).

فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه، أو كما قال له"[1]. فهذا يدلك أن النبي ﷺ لم يكن يسعى لذلك مطلقا.

وفي الرد على هذه التهمة بحق جميع الأنبياء يمكن القول: نحن نقرّ بأن النبوة رئاسة وقيادة، ولكنها لازمة للأنبياء تابعة للتصديق بهم لأنهم اختيار الله رب العالمين، وهي لم تكن أبدا هدفهم ومقصدهم، بل هي بالنسبة لهم مجرد وسيلة يتوصلون بها إلى أداء المهمة التي أُوكلت بهم من تطبيق أوامر الله سبحانه وتحكيم شرعه، وليست الرئاسة هدفا يطلبونها حبا فيها أو تحصيلا للرفعة والجاه، فجاههم كونهم أنبياء الله جل وعلا ليس فوقه جاه ولا مكانة، وليست كذلك لأجل مصالحهم ومآربهم الشخصية، وبهذا تكون رئاسة الأنبياء عليهم السلام مختلفة عن رئاسة غيرهم بما يأتي:

أولا: أنها توكيل وتولية واستخلاف من الله -عز وجل-، وليست توكيلا من البشر.

ثانيا: أنها وسيلة لإقامة شرع الله تعالى، وليست هدفا دنيويا لتحقيق مصالح خاصة.

ثالثا: أنها ليست طلبا للجاه والمكانة، فنبوة الأنبياء أعظم شأنا وأرفع شأوا.

المطلب الخامس: التهمة بالسرقة العلمية:

لقد اتُهم رسول الله ﷺ بأنه يتعلم القرآن الكريم من أناس في مكة عندهم معرفة بالكتب السماوية، ولديهم اطلاع على ثقافة الحضارات الأخرى، كل ذلك ليزيلوا عن القرآن صفة القداسة، فحاولوا إقناع الناس بأن القرآن وإن كان في القمة من الفصاحة والبلاغة؛ إلا أنه في النهاية من صنع البشر، وأن صاحبه مجرد منتحل يأتي بأخبار الأولين وأحكامهم وعلمهم؛ ثم يرويه على أنه قد أُنزل عليه، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾[الفرقان: 4-5].

---

[1] ابن هشام: **السيرة النبوية**. (ج1 ص146-147).

وكان على رأس هؤلاء المتّهمين النضر بن الحارث، قال البغوي: "{وقالوا أساطير الأولين اكتتبها}: يعني النضر بن الحارث، كان يقول: إن هذا القرآن ليس من الله وإنما هو مما سطره الأولون، مثل حديث رستم وإسفنديار، {اكتتبها}: انتسخها محمد من جبر ويسار وعداس[1]، ومعنى {اكتتب} يعني طلب أن يكتب له؛ لأنه كان لا يكتب، {فهي تملى عليه}: يعني تقرأ عليه ليحفظها لا ليكتبها، {بكرة وأصيلا}: غدوة وعشيا"[2]، وقد صاغ هذا الرجل تهمته حتى تكون مقبولة مستساغة، فهو لم يدّع أن النبي ﷺ كتبها بيده وقرأها مرارا ليحفظها؛ لأن النبي ﷺ لم يكن يقرأ ولا يكتب وهذا معروف عند قومه، فزعم أنه كان يطلب أن تُكتب له ثم تُقرأ له[3]، ثم إن هذا الرجل الكافر رحل إلى بلاد فارس، وتعلم أقاصيصهم ورواياتهم ثم عاد إلى مكة، فكان يَخلُف النبي ﷺ في كل مجلس يدعو فيه، فيحدث الناس بتلك القصص، ثم يقول: ما محمد أحسن حديثا مني[4].

وهذا يفسر أمرَ النبي ﷺ بقتله هو وعقبة بن أبي معيط من بين سبعين أسيرا أُسروا يوم بدر، فعداؤهم قد جاوز الحد، قال ابن إسحاق: "حتى إذا كان رسول الله ﷺ بالصفراء قتل النضر بن الحارث، قتله علي بن أبي طالب، كما أخبرني بعض أهل العلم من أهل مكة، قال ابن إسحاق: ثم خرج حتى إذا كان بعرق الظبية قتل عقبة بن أبي معيط"[5].

وقد أجاب الله –عز وجل– عن هذه التهمة بقوله: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[الفرقان: 6]، فما علاقة علم الله بتفنيد هذه التهمة؟ والجواب: أن القرآن بمبناه ومعناه ومضامينه لا يمكن أن يصدر إلا عمن أحاط بكل شيء علما، فهو مشتمل على أنواع العلوم ومتضمن جميع الأحكام المقتضية لمصالح العالم ونظام العباد، وهو مُبَرّأ عن

---

[1] عداس، مَوْلَى شَيْبَة بْن رَبِيعة بْن عَبْد شمس. من أهل «نينوي» الموصل، كَانَ نصرانيًا. لَهُ ذكر فِي صفة النَّبِيّ ﷺ، [انظر: ابن الأثير: **أسد الغابة**. (ج4 ص742)].

[2] البغوي: **معالم التنزيل في تفسير القرآن**. (ج3 ص435).

[3] انظر: ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (ج18 ص325).

[4] انظر: الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**. (ج19 ص238).

[5] ابن هشام: **السيرة النبوية**. (ج2 ص350).

النقص والخلل، ثم هو على درجة من الفصاحة والبلاغة لا يدانيها كلام أحد، فهذا كله لا يمكن أن يكون إلا كلام الله رب العالمين[1].

وقد زعمت قريش أن النبي ﷺ يتعلم القرآن من عبد رومي في مكة، فمعلوماته مسروقة وكلامه منتحل، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾[النحل: 103]. وقد تعددت الأقوال في تحديد هذا الرجل، وليس ذلك مهما، فالتهمة قائمة بصرف النظر عن اسمه وشخصه.

وما يهم من شأن الرجل هو ما ذكره القرآن من كونه أعجميا، وهنا كان الرد المفحم، بل الموبخ لأصحاب الادعاء، وهو كيف تدّعون أن هذا الكلام العربي الفصيح الذي عجزتم أنتم الأقحاح البلغاء عن الإتيان بمثله، كيف اعتقدتم أن أعجميا قد أتى به وهو ما زال يتدرب على لفظ الحروف، ولا يعرف من العربية إلا الشيء اليسير بقدر ما يرد جواب الخطاب ؟! هذا طعن شديد فيكم وفي فصاحتكم وعربيتكم، فكان في ذلك توبيخا لهم وهدما لادعائهم المكذوب[2].

ويجاب عن التهمة بالسرقة العلمية بأمر آخر، وهو: لماذا لم يصرح أولئك الذين عَلَّموا النبي ﷺ أو كتبوا له أو أملوا عليه، لماذا لم يصرحوا أنهم هم أصحاب الكلام ويحوزوا الشرف لأنفسهم؟! لماذا اختاروا أن ينقلوه إلى النبي ﷺ ليعلو به ويهزم به العرب قاطبة؟! لماذا لم تأت رواية قط صحيحة أو ضعيفة ادعى فيها أحدهم أنه علم محمدا ﷺ هذا الكلام؟! والجواب: لأن ذلك لم يكن، ولأنه لو ادعى أحد ذلك لاضطر بعدها أن يأتي بكلام آخر مثله ولن يقدر أبدا، فهم جميعا يعلمون أن ذلك ليس باستطاعتهم.

المطلب السادس: التهمة بالإفساد في الأرض:

لقد رمى فرعون وملؤه موسى وهارون عليهما السلام بتهمة الإفساد في الأرض، وسجل الله ذلك في آيتين من كتابه، قال الله سبحانه: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟

[1] انظر: الرازي: **مفاتيح الغيب.** (ج25 ص434).

[2] انظر: ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم.** (ج4 ص603).

﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ﴾[الأعراف: 127]، وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ﴾[غافر: 26].

وبالرجوع إلى ما قبل آية الأعراف نجد الكلام عن التحدي بين موسى –عليه السلام– والسحرة، وما نتج عنه من انتصار موسى –عليه السلام– عليهم، ثم إيمانهم برب العالمين سبحانه وتعالى، بعد ذلك جاءت الآية وفيها حكاية عن ملأ فرعون وهم يحرّضونه على وضع حد لموسى –عليه السلام–، لأنه إن لم يتدارك الأمر سيقع الفساد في الأرض، فمن هذا السياق يظهر أنهم قصدوا بالإفساد الذي سيحدثه موسى: تبديل دين الناس، والانتقال بهم من تأليه فرعون وعبادته إلى الإيمان بالله –عز وجل–، كما حدث مع السحرة. قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: وقالت جماعة رجال من قوم فرعون لفرعون: أتدع موسى وقومه من بني إسرائيل {ليفسدوا في الأرض}، يقول: كي يفسدوا خدمك وعبيدك عليك في أرضك من مصر"[1]. وذهب القرطبي إلى أنهم قصدوا بالإفساد مرحلة ما بعد إيمان الناس، وهو ما سيقع من الفُرقة بين المؤمنين والكافرين، وما سينتج عنه من خلاف واقتتال وغير ذلك، قال القرطبي: "قوله تعالى: {وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض} أي بإيقاع الفُرقة وتشتيت الشمل"[2].

ويؤيد هذين القولين تعدد القراءات لآية غافر، ففيها عند القراء وجهان: {يُظهِرَ في الأرض الفسادَ} و{يَظهَرَ في الأرض الفسادُ}[3]. فعلى القراءة الأولى؛ الفعل(يُظهِرَ) لموسى –عليه السلام–، أي: يظهر على يده الفساد في الأرض، وعلى القراءة الثانية، يظهرَ الفسادُ على يد الأتباع[4].

---

[1] الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**. (ج13 ص36). وانظر: البغوي: **معالم التنزيل في تفسير القرآن**. (ج2 ص221).

[2] القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**. (ج7 ص261).

[3] انظر: ابن الجزري: **النشر في القراءات العشر**. (ج2 ص273).

[4] انظر: السمرقندي، **أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد** (ت 373هـ): بحر العلوم. (ج3 ص203). وانظر: ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (ج24 ص126).

فعلى المعنى الأول نفهم كيف سمّى ملأ فرعونَ ما يقوم به موسى –عليه السلام– من هداية الناس وإصلاح عقيدتهم وتعبيدهم لرب العالمين فسادا، وهو أبعد ما يكون عن الفساد، سمّوه فسادا باعتبار مصلحتهم هم، فما كان فيه فرعون من استبداد واستعباد للخلق سيفسد ويزول بإيمان الناس، وما ينعم به ملأ فرعون من عيشة رغيدة وميزات حسنة سيزول كذلك، لذا أسموه فسادا[1].

وأما آية غافر ففيها خطاب من فرعون لملئه يخبرهم فيها بوجوب قتل موسى –عليه السلام–؛ لأنه إن لم يفعل ستؤول الأمور إلى ما لا تحمد عقباه، من فساد عريض يلحق دين الناس ودنياهم: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾[غافر: 26]. قال النسفي: "والفساد في الأرض التقاتل والتهايج، الذي يذهب معه الأمن وتتعطل المزارع والمكاسب والمعايش، ويهلك الناس قتلاً وضياعاً، كأنه قال: إني أخاف أن يفسد عليكم دينكم بدعوتكم إلى دينه، أو يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه"[2]، وهذا من العجائب، أن فرعون الذي هو عَلَمٌ في الظلم والطغيان والعنجهية؛ يخاف على الناس من إفساد موسى –عليه السلام–، ويقف أمام ملئه مذكرا ناصحا إياهم بوجوب التصدي له، قال ابن كثير: "{إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد} يعني: موسى، يخشى فرعون أن يضل موسى –عليه السلام– الناس ويغير رسومهم وعاداتهم، وهذا كما يقال في المثل: (صار فرعون مذكرا) يعني: واعظا، يشفق على الناس من موسى –عليه السلام–"[3]، ويلاحظ في هذه الآية اختلاف نفسية فرعون من تغير لهجة خطابه، فتلمس في كلامه الخوف والتردد، فمرة يقول: (ذروني)، وهل هناك من كان يجرؤ على معارضته فضلا عن منعه[4] ؟! ومرة يقول: (أخاف)، فهو يصرح بما يختلج في صدره من قلق لما سيحدث في الأيام القريبة.

والخلاصة أنّ الادعاء على موسى –عليه السلام– بأنه يريد الإفساد في الأرض تهمة مكشوفة مفضوحة، لا حاجة إلى شحذ الأذهان للرد عليها، فصاحبها هو فرعون الطاغية وملؤه،

[1] انظر: قطب، سيد بن إبراهيم (ت 1387هـ): **في ظلال القرآن**. ط7. (بيروت: دار الشروق). 1398هـ–1978م. (ج3 ص1354).

[2] النسفي: **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**. (ج، ص207).

[3] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**. (ج7 ص139).

[4] انظر: ابن عطية: **المحرر الوجيز**. (ج4 ص555).

والفساد الذي يحذرون منه هو جعل الناس أحرارا، وتحسين حياتهم، وإصلاح عقيدتهم، ففرعون وملؤه لا يريدون ذلك ويسمونه فسادا، ويرون أن الخير والصلاح والاستقرار أن يبقى فرعون ظالما مستبدا مستعبدا للناس، وهذا مرفوض مردود في عرف جميع البشر على اختلاف العصور والدهور، ولقد قال له موسى –عليه السلام– ذلك صراحة: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[الشعراء: 22].

المطلب السابع: التهمة بالتآمر والمكر:

وجَّه فرعون تهمة التآمر والمكر إلى السحرة بعد هزيمتهم أمام موسى –عليه السلام– ثم إيمانهم به، قال الله تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَاۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 123]، وفرعون لم يكن مؤمنا بهذا الذي قاله، ولكن أراد أن يتدارك الأمر إثر انتصار موسى –عليه السلام– على السحرة وإيمانهم به، فرماهم بهذه التهمة ليصرف الناس عن الإيمان، قال الزمخشري: "إن صنعكم هذا لحيلة احتلتموها أنتم وموسى في مصر قبل أن تخرجوا منها إلى هذه الصحراء، قد تواطأتم على ذلك لغرض لكم، وهو أن تخرجوا منها القبط وتسكنوها بنى إسرائيل، وكان هذا الكلام من فرعون تمويها على الناس لئلا يتبعوا السحرة في الإيمان"[1].

وجاء في آية أخرى: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَۖ﴾[طه: 71] [الشعراء: 49]، قال الطبري: "{إنه لكبيركم الذي علمكم السحر} يقول: إن موسى لرئيسكم في السحر، وهو الذي علمكموه، ولذلك آمنتم به"[2]، فما الفرق بين عبارة آية الأعراف، وعبارة آيتي طه والشعراء؟ والجواب: إن الناس بعد التحدي وانتصار موسى –عليه السلام– فاجأهم أمران:

الأول: ابتلاع حية موسى –عليه السلام– لجميع حيات السحرة.

---

[1] الزمخشري: **الكشاف.** (ج2 ص141).

[2] الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن.** (ج19 ص348).

الثاني: إيمان السحرة برب هارون وموسى عليهما السلام.

فآية الأعراف حاول فيها فرعون أن يرد على الأمر الثاني، وهو أن إيمان السحرة برب موسى وهارون عليهما السلام مدبر من قبل، تم الاتفاق عليه مسبقا {إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة}.

ولكن يبقى هناك إشكال بأن عصا موسى تحولت إلى حية حقيقية وابتلعت سائر الحيات، مما يؤكد أنه مؤيد من الله سبحانه، فعبارة آيتي طه والشعراء محاولة من فرعون للإجابة على هذا التساؤل، فقال هو معلمهم ورئيسهم لذلك كانت الغلبة له، وليس الأمر معجزة بتأييد الله –عز وجل– {إنه لكبيركم الذي علمكم السحر}، قال الشوكاني: "وإنما اعترف له بكونه كبيرهم، مع كونه لا يحب الاعتراف بشيء يرتفع به شأن موسى، لأنه قد علم كل من حضر أن ما جاء به موسى أبهر مما جاء به السحرة، فأراد أن يشكك على الناس بأن هذا الذي شاهدتم، وإن كان قد فاق على ما فعله هؤلاء السحرة، فهو فعل كبيرهم، ومن هو أستاذهم الذي أخذوا عنه هذه الصناعة، فلا تظنوا أنه فعل لا يقدر عليه البشر، وأنه من فعل الرب الذي يدعو إليه موسى"[1].

وهذه التهمة ظاهرة البطلان حيث إن موسى –عليه السلام– لم يلتق بالسحرة قبل ذلك، وكيف يلتقي بهم وقد جاؤوا من مدائن شتى:﴿ فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾[الشعراء:53]، وهل تنازلوا عن كل ما وعدهم به فرعون من الأجر والقرب منه، وهو ما يتمناه كل أحد في مصر؟[2] قال الله تعالى: ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴾[الأعراف: 113–114].

المطلب الثامن: التهمة بالاستهزاء:

أصحاب التهمة بالاستهزاء هم بنو إسرائيل، والعجيب أنهم نسبوها إلى نبيهم موسى –عليه السلام–، وذلك في حادثة القتل التي وقعت في زمانه ولم يُدر من الفاعل، فسألوا موسى –عليه

---

[1] الشوكاني: **فتح القدير**. (ج4 ص116).

[2] انظر: ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**. (ج3 ص458).

السلام– أن يبين لهم هوية القاتل، فأخبرهم أن الله سبحانه يأمرهم أن يذبحوا بقرة، عندها اتهموه بأنه مستهزئ، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[البقرة:67].

وهذه التهمة جاءت من قبل قوم مؤمنين مصدقين بنبيهم، وهي تهمة ربما تخرجهم من دائرة الإيمان، لاسيما أن موسى –عليه السلام– أضاف الأمر إلى الله سبحانه فقال: {إن الله يأمركم}، ولذلك ذهب فريق من العلماء إلى تكفير قائل هذه المقالة، وذهب آخرون إلى أنهم كانوا مؤمنين مصدقين وجرى ذلك منهم مجرى الغلظة وسوء الطبع[1]، ولعل هذا العذر مقبول للقول بأنهم لم يكذبوا ولم يكفروا مع ما في مقالتهم من سوء وقلة أدب. ولقد قالوا ذلك لأنهم رأوا أن لا علاقة بين ذبح بقرة والكشف عن قاتل في جريمة، قال البغوي: "أي: تستهزئ بنا، نحن نسألك عن أمر القتيل وتأمرنا بذبح البقرة!! وإنما قالوا ذلك لبعد ما بين الأمرين في الظاهر، ولم يدروا ما الحكمة فيه"[2]. وهم لو فتشوا في تاريخهم لعرفوا الحكمة، فقد عبد بنو إسرائيل العجل من دون الله، فأمرهم الله تبارك وتعالى أن يذبحوا بقرة –وهي أم العجل الذي تشرب في قلوبهم– وذلك ليخرج من قلوبهم هذه الفكرة الفاسدة والعقيدة الباطلة، فذبحُها وموتُها أمام أعينهم سيلغي تقديسها وتعظيمها في نفوسهم إذ كيف يُعبد من يموت؟! وعندها يترسخ التوحيد في قلوبهم بعدما أشربت الكفر والشرك، وهذا عند الله أهم وأولى من الكشف عن قاتل في جريمة.

ويمكن أن يُعترَض على هذا الفهم، بأنهم أُمروا بذبح بقرة بينما هم عبدوا عجلا، وإن كانا من فصيلة واحدة لكنهما ليسا شيئا واحدا، فلماذا لم يؤمروا بذبح عجل؟! والجواب –والله أعلم–: أن البقرة أصل والعجل فرع، وإبطال الأصل أبلغ من إبطال الفرع. أضف إلى ذلك أن البقرة –دون العجل– اتُخذت إلها يعبد عند كثير من الأمم، وفي ذبحها رد عليهم جميعا، فقد عُرف تقديس البقرة عند البشر قديما وحديثا، بل إنه لم يُعبد شيء من دون الله كما عُبدت البقرة، ولأجل ذلك

[1] انظر: أبو حيان: **البحر المحيط.** (ج1 ص404).

[2] البغوي: **معالم التنزيل في تفسير القرآن.** (ج1، ص127).

كانت أكبر سورة في القرآن اسمها البقرة وفيها قصة ذبح البقرة، كل ذلك لهدم أكبر عقيدة فاسدة سادت بين البشر[1].

ولما سمع موسى –عليه السلام– اتهامهم له بالاستهزاء نفى عن نفسه ذلك بقوله: {أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين}، فمنتهى الجهل أن ينسب الإنسان قولا إلى الله –عز وجل–، ويكون بذلك هازئا لاعبا، لا يتأتى هذا من أقل الناس إيمانا، فكيف يَصدُر عن نبي مرسل من أولي العزم من الرسل! قال الطبري: "ولا ينبغي أن يكون من أنبياء الله –فيما أخبرت عن الله من أمر أو نهي– هزؤ أو لعب، فظنوا بموسى أنه في أمره إياهم –عن أمر الله تعالى ذكره بذبح البقرة عند تدارئهم في القتيل إليه– أنه هازئ لاعب، ولم يكن لهم أن يظنوا ذلك بنبي الله، وهو يخبرهم أن الله هو الذي أمرهم بذبح البقرة"[2].

ومن الجدير هنا عرض أحد المواقف لصحابة النبي ﷺ يأمرهم فيها بما لا تبلغه عقولهم، ومع ذلك كانوا يسلّمون ويلتزمون ويرددون: سمعنا وأطعنا، لعلمهم أن النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى، وليس كما فعل بنو إسرائيل بموسى –عليه السلام– من إيذائه ونسبته إلى الجهل والاستهزاء.

ففي حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– لمّا كان جائعا ووقف في طريق الناس، لعل أحدا يعطيه شيئا أو يدعوه إلى طعام، فمرّ أبو بكر وعمر عليهما السلام، فلم يصرّح لهما بما يريد تعففا، ثم مرّ رسول الله ﷺ فعرف ما في نفسه فدعاه إلى بيته، فلمّا دخل ﷺ وجد لبنا في قدح، فسأل فقيل له: إنها هدية من أحد المسلمين، عندها قال النبي ﷺ: "«يَا أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الحَقْ» وَمَضَى فَتَبِعْتُهُ، فَدَخَلَ، فَاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنَ لِي، فَدَخَلَ، فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قَدَحٍ، فَقَالَ: «مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ؟» قَالُوا: أَهْدَاهُ لَكَ فُلاَنٌ أَوْ فُلاَنَةُ، قَالَ: «أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي» قَالَ: وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الإِسْلاَمِ، لاَ يَأْوُونَ إِلَى أَهْلٍ وَلاَ مَالٍ وَلاَ عَلَى أَحَدٍ، إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ

---

[1] انظر: البنا، حسن أحمد عبد الرحمن (ت 1368هـ): **نظرات في كتاب الله**. (القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية). 1423هـ–2002م. (ص157–158).

[2] الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**. (ج2 ص182).

أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا، فَسَاءَنِي ذَلِكَ، فَقُلْتُ: وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ، كُنْتُ أَحَقُّ أَنَا أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا، فَإِذَا جَاءَ أَمَرَنِي، فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ، وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ بُدٌّ، فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ فَأَقْبَلُوا، فَاسْتَأْذَنُوا فَأَذِنَ لَهُمْ، وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ البَيْتِ، قَالَ: «يَا أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «خُذْ فَأَعْطِهِمْ» قَالَ: فَأَخَذْتُ القَدَحَ، فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ القَدَحَ، فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ القَدَحَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ القَدَحَ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ رَوِيَ القَوْمُ كُلُّهُمْ، فَأَخَذَ القَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ، فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ، فَقَالَ: «أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ» قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «اقْعُدْ فَاشْرَبْ» فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ، فَقَالَ: «اشْرَبْ» فَشَرِبْتُ، فَمَا زَالَ يَقُولُ: «اشْرَبْ» حَتَّى قُلْتُ: لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا، قَالَ: «فَأَرِنِي» فَأَعْطَيْتُهُ القَدَحَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَسَمَّى وَشَرِبَ الفَضْلَةَ"[1]. فلسان حال أبي هريرة يقول: لم أفهم كيف يكون ذلك! ولكن طاعة رسول الله ﷺ واجبة، وفعل رسول الله أصوب من منطقي؛ لأنه رسول الله.

فهذا هو الفعل الصواب لمن آمن بالله ورسوله، حاله إذا قضى الله ورسوله أمرا هو: التسليم والاطمئنان، ثم التنفيذ، لأن النبي مبلِّغ عن الله، مؤيَّد من الله، فكيف إذا أسند كلامه صراحة إلى الله، كما قال موسى –عليه السلام–: {إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة}، لا مجال عندها إلى المراجعة والاستفسار، فضلا عن الاستهزاء والاستهتار، لا يبدر ذلك إلا من خائب خاسر إن لم يكن كافرا.

المطلب التاسع: التهمة بالنفعية والوصولية:

إن من مآثر ومفاخر أبي بكر الصديق –رضي الله عنه– أنه كان شديد العطف على المسلمين عظيم الرحمة بهم، حتى قال فيه رسول الله ﷺ: "أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ"[2]، فكان في

---

[1] **البخاري: صحيح البخاري**. كتاب: الرقاق، باب: كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه، وتخليهم من الدنيا. (ج8 ص96). ح6452.

[2] أحمد، أبو عبد الله (ت241هـ): **المسند**. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون. ط1. (مؤسسة الرسالة). 1421هـ–2001م. مسند أنس بن مالك، (ج21 ص406). ح13990. قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

بداية الدعوة كلما رأى عبدا مملوكا يُعذَّب من قبل مواليه لإسلامه اشتراه وأعتقه، حتى أعتق بلال بن رباح -رضي الله عنه-، فعندها رماه المشركون بتهمة مفادها: أن هذا الفعل من أبي بكر إنما هو رد لمعروف سابق لبلال عنده؛ فكذَّبهم الله -عز وجل- بقوله: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾[الليل: 17-21]، قال ابن كثير: "وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-، حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك، ولا شك أنه داخل فيها، وأولى الأمة بعمومها، فإن لفظها لفظ العموم ... فإنه كان صديقا تقيا كريما جوادا بذّالا لأمواله في طاعة مولاه، ونصرة رسول الله، فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم، ولم يكن لأحد من الناس عنده منة يحتاج إلى أن يكافئه بها"[1].

أما السبب الذي دعاهم لاتهامه بالنفعية والوصولية؛ أنهم لم يتقبلوا فكرة أن أبا بكر فعل ذلك محبة بالمسلمين، لكيلا ينبهر الناس بالتأثير الكبير لهذا الدين على العلاقة بين أفراده، وأنهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، قال ابن عاشور: "وقوله: {وما لأحد عنده من نعمة تجزى} الآية، اتفق أهل التأويل على أن أول مقصود بهذه الصلة أبو بكر الصديق -رضي الله عنه-، لما أعتق بلالا قال المشركون: ما فعل ذلك أبو بكر إلا ليد كانت لبلال عنده. وهو قول من بهتانهم -يعللون به أنفسهم كراهية لأن يكون أبو بكر فعل ذلك محبة للمسلمين- فأنزل الله تكذيبهم بقوله: وما لأحد عنده من نعمة تجزى"[2].

ولعل هناك سببا آخر دعاهم إلى الطعن في فعل أبي بكر، وهو أنهم أرادوا صرف أنظار الإعجاب عن شخصه -رضي الله عنه-، فربما أدى هذا الموقف العظيم منه إلى التفاف الناس عليه وتبني فكرته، ففعلٌ كهذا يكسب القلوب بلا شك، فكان لا بد من توهين شأنه وتحقير فعله والزعم بأن هذا رد معروف ليس أكثر.

---

[1] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**. (ج8 ص422). بتصرف.

[2] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (ج30 ص391).

ويحتمل وجها آخر، ربما كان مدعاة لهذه التهمة، وهو أن هؤلاء المشركين الذين امتلأت قلوبهم من حب الدنيا وصارت حياتهم وعلاقاتهم وتعاملاتهم قائمة على أساس المصالح والمنافع. ربما لم يفهموا ما معنى أن هذا الفعل في سبيل الله، وأن الأجر الذي يبتغيه منه آجل في الآخرة وليس عاجلا في الدنيا. لم يفهموا هذا المعنى فهم لا يتقنون إلا لغة المادة، ولا يفهمون إلا منطق المصالح، وليس في حياتهم شيء يسمى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾[الإنسان: 9]. ففسروا عمله بأنه ليس إلا مكافأة على معروف سبق.

المطلب العاشر: التهمة بترك العدل في القسمة:

لقد كانت حياة النبي ﷺ بما فيها من أقوال وأفعال وتحركات؛ لغاية واحدة هي الدعوة إلى الله سبحانه وتمكين دينه، وعلى ضوء هذه الحقيقة نستطيع فهم كثير من مواقفه عليه الصلاة والسلام، وهذا أحدها؛ ذلك أن النبي ﷺ بعد معركة حنين أراد أن يتألف قلوب المؤمنين الجدد من زعماء القبائل بإعطائهم نصيبا كبيرا من الغنائم، وبسبب ذلك اتُّهم ﷺ بأنه ظالم مُنحاز إلى بعض الناس على حساب غيرهم. قال البيضاوي: "كان رسول الله ﷺ يقسم غنائم حنين؛ فاستعطف قلوب أهل مكة بتوفير الغنائم عليهم، فقال[1]:اعدل يا رسول الله، فقال: «ويلك، إن لم أعدل فمن يعدل»"[2]، وفي ذلك أنزل الله سبحانه: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾[التوبة: 58]، واللمز هو ذكر العيب في الشخص. قال الراغب: "اللمز: الاغتياب وتتبع المعاب، يقال: لمزه يلمِزُه ويلمَزُه"[3]. وقد كان ذلك العيب ما قدمنا من أن البعض عاب على النبي ﷺ قسمة المال وطعن عليه فيها[4].

وقد جاء في صحيح البخاري التصريح باسم قائل هذه التهمة، وتأكيد نزول الآية فيه، وهو عبد الله بن ذي الخويصرة؛ فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري –رضي الله عنه–، قَالَ: "بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَقْسِمُ، جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ذِي الخُوَيْصِرَةِ التَّمِيمِيُّ، فَقَالَ: اعْدِلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا

[1] سيأتي اسم القائل قريبا.

[2] البيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**. (ج3 ص85).

[3] انظر: الراغب: **معجم مفردات ألفاظ القرآن**. (ص345).

[4] انظر: الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**. (ج14 ص300). وانظر: البغوي: **معالم التنزيل في تفسير القرآن**. (ج2 ص359). وانظر: الزمخشري: **الكشاف**. (ج2 ص281).

لَمْ أَعْدِلْ» قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ، قَالَ: "دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا، يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ... قَالَ: فَنَزَلَتْ فِيهِ: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ}[التوبة: 58]"[1]. فهذا تأكيد من الصحابي الجليل أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه– أن الآية نزلت في هذا الرجل.

وهذا الشعور من عدم الرضا بالقسمة، والتساؤل عن سببها –في الحادثة ذاتها–؛ أصاب الأنصار من صحابة النبي ﷺ، حيث آثر غيرهم عليهم في الغنائم، ولكنهم كانوا أتقى وأنقى من أن يتلفظوا بشيء من هذا الكلام المتضمن لمزا بالنبي ﷺ، فأرسلوا إليه ﷺ يستوضحونه، فبيّن لهم أنه آثر الناس بالشاة والبعير؛ ولكنه قسم لهم شخصه الشريف ونفسه الكريمة، وأنه سيرجع معهم إلى المدينة يساكنهم فيها، ولن يعود إلى مكة مولده ومنشأه بالرغم من فتحها وتحولها إلى دار إسلام؛ وذلك في الصحيحين من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم –رضي الله عنهما– قَالَ: "لَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي المُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، وَلَمْ يُعْطِ الأَنْصَارَ شَيْئًا، فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللَّهُ بِي، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ بِي» كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، قَالَ: «مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ». قَالَ: كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، قَالَ: "لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ: جِئْتَنَا كَذَا وَكَذَا، أَتَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالبَعِيرِ، وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى رِحَالِكُمْ، لَوْلاَ الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا، الأَنْصَارُ شِعَارٌ[2] وَالنَّاسُ دِثَارٌ[3]، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ"[4].

---

[1] **البخاري**: كتاب: استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب: من ترك قتال الخوارج للتألف، وأن لا ينفر الناس عنه. (ج9 ص17). ح6933.

[2] الشعار: ما يلي الجسَدَ من الثياب. [انظر: الثعالبي، عبد الملك بن محمد (ت 429هـ): **فقه اللغة وسر العربية**. ط1. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. ط1. (إحياء التراث العربي). 1422هـ–2002م. ص27].

[3] الدثار: ما يُلبس فوق الشعار. يقول: أنتم في القرب مني بمنزلة الشعار من الرجل، «والناس دثار» أي: فأنتم أقرب منهم. [انظر: الحربي، إبراهيم بن إسحاق (ت 285هـ): **غريب الحديث**. ط1. تحقيق: سليمان إبراهيم محمد العايد. ط1. (مكة المكرمة: جامعة أم القرى). 1405هـ. (ج1 ص144).

[4] (متفق عليه) **البخاري**: كتاب: المغازي، باب: غزوة الطائف. (ج5 ص157). ح4330. مسلم: **صحيح مسلم**. كتاب: الزكاة. باب: باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه. (ج2 ص738). ح1061.

وفي رواية أخرى يؤكد النبي ﷺ بنفسه سبب هذه القسمة –وليس تفسيرا من الصحابة كما في الأحاديث السابقة– فيقول: "أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا، تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ؟"[1]. وهذا هو الجواب عن هذه التهمة من أن سبب فعل النبي ﷺ لذلك؛ إنما هو تمكين دين الله –عز وجل– بتأليف قلوب المؤمنين حديثا، خاصة من أهل مكة بعد فتحها.

ومن الجدير بالذكر أن قائل هذه التهمة لم يكن قصده إقامة العدل بقسمة متساوية، ولكن مقصده فقط أن يُعطى مثل أولئك، وهذا بينه الله سبحانه لنا في قوله: ﴿فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾[التوبة: 58]. قال السعدي: "وليس انتقادهم فيها وعيبهم لقصد صحيح، ولا لرأي رجيح، وإنما مقصودهم أن يعطوا منها"[2].

وقد قصّ علينا القرآن في موضع آخر أن المؤمنين تعرضوا للّمز كذلك، ولكن هذه المرة من قبل المنافقين؛ وذلك عندما حث رسول الله ﷺ الناس على الإنفاق في سبيل الله، فجاؤوا بصدقاتهم ما بين مستكثر ومقل كل بحسب طاقته واستطاعته، فلما رأى المنافقون ذلك أخذوا يلمزون الفقير ويستهزئون بصدقته القليلة، ويطعنون في نية الغني بأنه مراء بصدقته الكبيرة، فأنزل الله –عز وجل–: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[التوبة: 79]. عن أبي مسعود –رضي الله عنه– قال: "لَمَّا أُمِرْنَا بِالصَّدَقَةِ كُنَّا نَتَحَامَلُ، فَجَاءَ أَبُو عَقِيلٍ[3] بِنِصْفِ صَاعٍ، وَجَاءَ إِنْسَانٌ بِأَكْثَرَ مِنْهُ، فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ: إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَدَقَةِ هَذَا، وَمَا فَعَلَ هَذَا الآخَرُ إِلَّا

---

[1] أحمد: **المسند**. مسند أبي سعيد الخدري. (ج18 ص255). ح11730. قال الأرنؤوط: إسناده حسن.

[2] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت 1376هـ): **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. 1مج. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. ط1. (مؤسسة الرسالة). 1420هـ–2000م. ص340.

[3] وابن عقيل هذا مختلف في اسمه، فبعضهم يقول: اسمه حبحاب [انظر: ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت852هـ): **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. (بيروت: دار المعرفة). 1379هـ. (ج8 ص331)]. وقال بعضهم: هو حثحاث. [انظر: ابن عبد البر: **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**. (ج4 ص1717)]. وبعضهم يقول: اسمه عبد الرحمن بن سحان. [انظر: ابن الأثير: **أسد الغابة**. (ج3 ص354)].

رِئَاءً، فَنَزَلَتْ: {الَّذِينَ يَلْمِزُونَ المُطَّوِّعِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ، وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ}[التوبة: 79]"[1].

وهذا الفعل متوقع من المنافقين الذين يبغون تثبيط المؤمنين وتخليل صفوفهم، قال الله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾[التوبة: 47]. لذلك لا عبرة بادعاءاتهم ولا وزن لأقوالهم.

[1] (متفق عليه) **البخاري**: كتاب: تفسير القرآن، باب قوله: الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات، (ج6 ص67). ح4668. مسلم: **صحيح مسلم**. كتاب: الزكاة، باب: الحمل أجرة يتصدق بها، والنهي الشديد عن تنقيص المتصدق بقليل، (ج2 ص706). ح1018.

المبحث الثالث

التهمة الجسدية

المطلب الأول: التهمة بالأُدرة[1]:

التهمة بالعيب الجسدي واحدة من التهم التي حاكها بنو إسرائيل لنبيهم موسى –عليه السلام–، وهي ثابتة في الصحيحين تبيانا من النبي ﷺ لقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴾[الأحزاب: 69]، فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: " كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْتَسِلُونَ عُرَاةً، يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، وَكَانَ مُوسَى ﷺ يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا يَمْنَعُ مُوسَى أَنْ يَغْتَسِلَ مَعَنَا إِلَّا أَنَّهُ آدَرُ، فَذَهَبَ مَرَّةً يَغْتَسِلُ، فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ، فَفَرَّ الحَجَرُ بِثَوْبِهِ، فَخَرَجَ مُوسَى فِي إِثْرِهِ، يَقُولُ: ثَوْبِي يَا حَجَرُ، حَتَّى نَظَرَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى مُوسَى، فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا بِمُوسَى مِنْ بَأْسٍ، وَأَخَذَ ثَوْبَهُ، فَطَفِقَ بِالحَجَرِ ضَرْبًا " فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاللَّهِ إِنَّهُ لَنَدَبٌ بِالحَجَرِ، سِتَّةٌ أَوْ سَبْعَةٌ، ضَرْبًا بِالحَجَرِ"[2]. وهذا الطعن في موسى هو الأذى المقصود في آية الأحزاب آنفة الذكر كما قال المفسرون[3]؛ فانظر إلى هذا الكلام المنكر يوجَّهُ من قوم يدَّعون الإيمان إلى نبيهم، وهو من أولي العزم من الرسل.

وقد برأ الله تبارك وتعالى نبيه موسى –عليه السلام– من ذلك، كما ذكرت الآية {فبرأه الله مما قالوا}، وهذه التبرئة للأنبياء من العيوب الجسدية المنفرة أمر في منتهى الأهمية؛ لأنه يساعد في إثبات صدقهم، فإذا كان الشخص المختار معيبا ظاهر النقص مع وجود السليمين الأصحاء، فتح ذلك الباب لبعض الناس ليقولوا: أما وجد الله رجلا أكمل منك يحمل رسالته وهو رب العالمين؟! لا سيما أننا نرى الملوك قديما والحكومات حديثا يختارون أكمل الشخصيات ليكونوا رسلهم وسفراءهم إلى الدول والممالك الأخرى، ليقع في نفوس المرسَل إليهم الاحترام والتقدير، ثم

---

[1] الأُدرة (بالضم): نفخة في الخصية. انظر: ابن منظور: **لسان العرب.** (ج4 ص15)

[2] (متفق عليه) **البخاري:** كتاب: الغسل، باب: من اغتسل عريانا وحده في الخلوة، ومن تستر فالتستر أفضل، (ج1 ص64). ح278. مسلم: **صحيح مسلم.** كتاب: الحيض، باب: جواز الاغتسال عريانا في الخلوة، (ج1 ص267). ح339.

[3] انظر: البغوي: **معالم التنزيل في تفسير القرآن.** (ج3 ص667). انظر: ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم.** (ج6 ص485).

الاستجابة للرسالة المرسلة معهم. ولذلك كان الله سبحانه يختار من عباده الكُمّل العدول، المنزهين عن النقائص والمعايب؛ ليبلغوا رسالته لسائر خلقه، قال العيني في شرح حديث أبي هريرة السابق: "وفيه: أن الأنبياء –صلى الله تعالى عليهم وسلم–، منزهون عن النقائص والعيوب الظاهرة والباطنة"[1]. وقال ابن حجر في الفتح تعليقا على الحديث أيضا: "وفيه أن الأنبياء في خلقهم وخلقهم على غاية الكمال"[2]. وقال محمد عبده في صفات الأنبياء: "ومن لوازم ذلك بالضرورة وجوب الاعتقاد بعلو فطرتهم، وصحة عقولهم، وصدقهم في أقوالهم، وأمانتهم في تبليغ ما عهد إليهم أن يبلغوه، وعصمتهم من كل ما يشوه السيرة البشرية، وسلامة أبدانهم مما تنبوا عنه الابصار وتنفر منه الأذواق السليمة، وأنهم منزهون عما يضاد شيئا من هذه الصفات المتقدمة"[3].

وبالنسبة لما جاء في الحديث من كشف عورة موسى –عليه السلام– أمام قومه، وهو مما تنفر العقول من تصوره، ويتساءل المرء عنه: كيف يكون ذلك وهو حرام في الشرع؟ بل يحرم في حق عامة المسلمين فكيف بنبي من أنبياء الله جل وعلا! والجواب عن ذلك يحتمل وجوها ذكرها العلماء:

أولا: يحتمل أن هذا كان جائزا في شرعهم وكان موسى يتركه حياء.

ثانيا: ويحتمل أنه كان حراما ولكنهم كانوا يتساهلون فيه.

وقد ذكَرَ الإمام النووي هذين الوجهين في شرحه على مسلم[4]. وذكر الإمام ابن حجر العسقلاني وجها آخر، وهو أن عورته لم تظهر ولكن التصق ثوبه ببدنه بفعل الماء فظهر لهم خلاف ما ظنوا، وأنه سليم مما نسبوه إليه –عليه السلام–، قال ابن حجر: "ونقل ابن الجوزي عن الحسن بن أبي بكر النيسابوري أن موسى نزل إلى الماء مؤتزرا، فلما خرج تتبع الحجر والمئزر

---

[1] العيني: **عمدة القاري شرح صحيح البخاري.** (ج15 ص301).

[2] ابن حجر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري.** (ج6 ص437).

[3] عبده، محمد عبده (ت 1323هـ): **رسالة التوحيد.** (دار الكتاب العربي). ص45.

[4] انظر: النووي، يحيى أبو زكريا (ت 676هـ): **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج.** ط2. (بيروت: دار إحياء التراث العربي). 1392هـ. (ج4 ص32).

مبتل بالماء، علموا عند رؤيته أنه غير آدر لأن الأدرة تبين تحت الثوب المبلول بالماء"[1]. وهذا القول ضعيف والله أعلم، لأنه إذا كان موسى –عليه السلام– مؤتزرا؛ فلماذا كان شديد الحرص على ملابسه التي على الحجر؟ أضف إلى ذلك أنه قول يفتقر إلى الدليل.

والذي يظهر أن ما حصل لموسى –عليه السلام– كان بتقدير الله –عز وجل–؛ وذلك لإيصال رسالة[2]، دون أن يكون لموسى –عليه السلام– خيار فيه؛ والدليل: أن الحجر قد مشى بثوبه! وهذا لا يُفسر إلا على أنه بإرادة الله سبحانه، فلا يُنسب إلى موسى –عليه السلام– شيء منه، وبذلك تندفع الشبهة.

[1] ابن حجر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. (ج6 ص437).

[2] الرسالة هي: ما سبق ذكره من تبرئة موسى –عليه السلام– من العيوب الظاهرة والباطنة.

الفصل الثالث

خطورة التهم وتأثيرها

المبحث الأول: سرعة انتشار التهم

المبحث الثاني: تأثير التهم على الدعوة

المبحث الثالث: تأثير التهم على الدعاة

المبحث الأول

سرعة انتشار التهم

إن في النفس الإنسانية رغبة في المعرفة والاطلاع والاستكشاف، ولا يقتصر الأمر في هذا الباب على العلوم الإنسانية أو الإلهية أو غيرها من العلوم، بل يتخطى ذلك إلى معرفة أخبار الناس وأحوالهم وتفاصيل حياتهم، بل إن هذا اللاحق عند الكثيرين مقدم على السابق، فتجدهم لا يعبؤون بالتعرف على العلوم والمعارف المختلفة، في حين لا يدخرون جهدا في استكشاف حياة الناس واستجلاب أخبارهم.

وهذا الواقع الذي نعيشه يؤكد بأنه يكاد لا يخلو مجلس على وجه الأرض إلا وفيه كلام للناس بعضهم في بعض، وبسبب فساد الذمم وغلبة الحقد وانتشار الحسد؛ فإن أكثر ما يلقى قبولا ورواجا في هذه المجالس هو عيوب الآخرين، تجد الحديث عن الخير والإيجابيات والمحاسن لا يبلغ معشار الحديث عن ضدها من السلبيات والنقائص، ولعل هذا يشعر الناس بالرضا عن أنفسهم، لذلك يجدون لذة في سماعها ولذة أكبر في نقلها.

ومَكْمَن الخطر في قضية التهم هو سرعة انتشارها وذيوعها بين الناس حتى تبلغ حد "التواتر"، وعندها تصبح مصدقة مقبولة، بدليل سعة انتشارها وجريانها على كل لسان، وقد أبدع القرآن في وصف هذه الظاهرة البشرية، فقال في قضية اتهام عائشة –رضي الله عنها–: ﴿إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ﴾[النور: 15]، قال النسفي: "{تلقونه} يأخذه بعضكم من بعض، يقال: تلقى القول وتلقنه وتلقفه {بألسنتكم} أي: أن بعضكم كان يقول لبعض: هل بلغك حديث عائشة؟ حتى شاع فيما بينهم وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد الا طار فيه"[1].

والإبداع في هذه العبارة أن الله تبارك وتعالى نسب التلقي إلى اللسان، مع أن التلقي هو للأذن في الحقيقة، وذلك للدلالة على أن هذه الشائعة، وكذلك غيرها من الشائعات تُتناقل عادة بلا

[1] النسفي: **مدارك التنزيل وحقائق التأويل.** (ج2 ص493).

رويّة ولا تأمل، من لسان إلى لسان دون سؤال عن دليل أو برهان، ودون عرض للخبر على أصول العلم، تتلقاها الألسن دون أن تُمرّها على القلب الذي ربما يحكم بحبسها وإمساكها؛ لما فيها من شك في حقيقتها وخطر في نشرها، لا تصل إلى القلب فلا يمنعها من الانتشار شيء، قال الزمخشري: "وهذا الإفك ليس إلا قولا يجرى على ألسنتكم ويدور في أفواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب، كقوله تعالى: {يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم}"[1].

فالتعامل مع الشائعات بلا وعي ولا تفكير ولا تثَبُّت يجعلها تنتشر بسرعة كانتشار النار في الهشيم؛ لتتحول بعد ذلك إلى حقائق عند كثير من الناس، وهذا الأمر يترتب عليه خطورة بالغة تتمثل في وقوع الفتن والاختلاف والشقاق والاقتتال، ولذلك وضع القرآن منهجا متكاملا للتعامل مع الأخبار مما يحدّ من انتشار التهم والأكاذيب، ومن ثَم إصلاح ذات البين، وتوحيد الصفوف، ونشر المحبة والألفة بين الناس. وذلك في آيات كريمة، منها:

قول الله –عز وجل–: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[الإسراء: 36]، والمعنى: لا تتبع ولا تتقل ولا تردد ما ليس لك به علم، قال ابن كثير: "قال قتادة: لا تقل رأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع، وعلمت ولم تعلم، فإن الله تعالى سائلك عن ذلك كله"[2]، وهذا الأمر الإلهي ليس بدعا من الأوامر، بل هو مركوز في الفطر، من وجوب الكلام بالصدق لا بالكذب، وبالحقائق لا بالشكوك. وعدم الالتزام بهذا المبدأ يوقع في محاذير ومخاطر

–كما تقدم– قال ابن باديس بعد حديثه عن هذه الآية: "ولعمر الله إنه ما دخل الضلال في عقائد الناس، ولا جرى الباطل والزور على ألسنتهم، ولا كان الفساد والشر في أفعالهم؛ إلاّ بإهمالهم، أو تساهلهم في هذا الأصل العظيم"[3].

---

[1] الزمخشري: **الكشاف**. (ج3 ص219). وانظر: الرازي: **مفاتيح الغيب**. (ج23 ص343).

[2] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**. (ج5 ص75).

[3] ابن باديس، عبد الحميد محمد بن باديس (1359هـ): **مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**. تحقيق: أحمد شمس الدين. ط1. (بيروت: دار الكتب العلمية). 1416هـ–1995م. (ص103). بتصرف يسير.

وأمر الله سبحانه بوجوب التأكد والتثبت من الأخبار، خاصة إذا كان ناقلها فاسقا مارقا، مما يقوي احتمال كذبها، حيث إن صاحبها مرتكب للكبائر أو مصرّ على الصغائر. وهذا منهج قويم يرشدنا إلى الاستعانة بالقرائن على تغليب جانب الصدق أو الكذب عند تعذر اليقين في الخبر، قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾[1][الحجرات: 6]. قال السعدي: "وهذا أيضا، من الآداب التي على أولي الألباب، التأدب بها واستعمالها، وهو أنه إذا أخبرهم فاسق بخبر أن يتثبتوا في خبره، ولا يأخذوه مجردا، فإن في ذلك خطرا كبيرا، ووقوعا في الإثم، فإن خبره إذا جعل بمنزلة خبر الصادق العدل؛ حكم بموجب ذلك ومقتضاه، فحصل من تلف النفوس والأموال بغير حق بسبب ذلك الخبر؛ ما يكون سببا للندامة، بل الواجب عند خبر الفاسق، التثبت والتبين، فإن دلت الدلائل والقرائن على صدقه، عمل به وصدق، وإن دلت على كذبه، كذب، ولم يعمل به، ففيه دليل على أن خبر الصادق مقبول، وخبر الكاذب مردود، وخبر الفاسق متوقف فيه كما ذكرنا"[2].

بل إن القرآن العظيم سعى إلى حل هذا الإشكال تماما، واجتثاث ضرره من أصوله، فنهى عن الأمر المسبب للتهم، المؤدي إلى نشر الكذب، وهو سوء الظن، فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[الحجرات: 12]. وأكد هذا الأمرَ رسولُ الله ﷺ في كلامه، فقال كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه–: "إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا[3]، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا"[4]، والملاحظ في الآية والحديث أن سوء الظن قد ذُكر أولا، ثم

---

[1] وجاء في بعض الروايات المتواترة "فتثبتوا" مكان "فتبينوا". انظر: ابن الجزري: **النشر في القراءات العشر**. (ج2 ص189).

[2] السعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. (ج1 ص799).

[3] التجسس بالجيم أن يطلبه لغيره وبالحاء أن يطلبه لنفسه. انظر: [ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت 597هـ): **غريب الحديث**. ط1. (بيروت: دار الكتب العلمية). 1405هـ–1985م. (ج1 ص156)]. وقيل: هما بمعنى واحد. انظر: [ابن منظور: **لسان العرب**. (ج6 ص 50)].

[4] (متفق عليه) **البخاري**: كتاب: الأدب، باب: ما ينهى عن التحاسد والتدابر. (ج8 ص19). ح6064. مسلم: **صحيح مسلم**. كتاب: البر والصلة والآداب. باب: تحريم الظن، والتجسس، والتنافس، والتناجش ونحوها. (ج4 ص1985). ح2563.

ذكر بعده التحسس والتجسس والحسد والتدابر والتباغض والغيبة، لأن سوء الظن هو المقدمة لهذه المساوئ والمضار، وهي النتيجة الحتمية له. فإذا أساء المسلم الظن دعاه ذلك إلى التجسس والتحسس، وأدى ذلك بعدُ إلى التحاسد والتدابر والتقاطع، فالأصل إذاً هو سوء الظن؛ فلا بد من طرحه وتخليص النفوس والقلوب منه.

وجاء في كلام رسول الله ﷺ أقوال أخرى تؤيد هذا الأصل وتزيده تأكيدا، من وجوب تحرّي الصدق والعلم في الكلام قبل نقله ونشره، والإمساك عمّا سواه من الكذب والجهل، كقوله عليه الصلاة والسلام: "بِحَسْبِ الْمَرْءِ مِنَ الْكَذِبِ أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ"[1]. فمن حدّث بكل شيء سمعه لا شك أنه وقع في الكذب، لأنه من المحال أن تكون جميع الأخبار صحيحة، بل لا بد من دخول الخطأ إليها، إن لم يكن بقصد فبغير قصد؛ بحكم الجهل والنسيان والسهو والوهم وغيرها. وفي سنن أبي داود قال ﷺ: "بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ: زَعَمُوا"[2]. فبئس مركب الرجل "قالوا" و "ذكروا" بلا دليل ولا برهان ولا تأكيد ولا إسناد. قال العظيم آبادي: "أي أسوأ عادة للرجل أن يتخذ لفظ زعموا مركبا إلى مقاصده؛ فيخبر عن أمر تقليدا من غير تثبت فيخطئ ويجرب عليه الكذب"[3].

وهكذا نرى الآيات والاحاديث آخذاً بعضها بحجز بعض، كلها تؤكد على أهمية هذا الأمر، لأنه لا يستقيم حال الناس إلا به، على اختلاف أعراقهم وألوانهم وثقافاتهم، قال سيد قطب: "وهكذا تتضافر الآيات والأحاديث على تقرير ذلك المنهج الكامل المتكامل؛ الذي لا يأخذ العقل وحده بالتحرج في أحكامه، والتثبت في استقرائه، إنما يصل ذلك التحرج بالقلب في خواطره وتصوراته، وفي مشاعره وأحكامه، فلا يقول اللسان كلمة ولا يروي حادثة ولا ينقل رواية، ولا يحكم العقل حكما ولا يبرم الإنسان أمرا؛ إلا وقد تثبت من كل جزئية ومن كل ملابسة ومن كل نتيجة، فلم يبق هنالك شك ولا شبهة في صحتها"[4].

---

[1] **مسلم: صحيح مسلم**. مقدمة الإمام مسلم رحمه الله. باب: النهي عن الحديث بكل ما سمع. (ج1 ص10). ح5.

[2] أبو داود: سليمان ابن الأشعث. **سنن أبي داود**. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. ومذيل بحكم الألباني (بيروت: المكتبة العصرية). كتاب: الأدب، باب في قول الرجل: زعموا. (ج4 ص294). ح4972. وصححه الشيخ الألباني.

[3] العظيم آبادي، محمد أشرف بن أمير (1329هـ): **عون المعبود شرح سنن أبي داود**. (بيروت: دار الكتب العلمية). 1415هـ. (ج13 ص214-215).

[4] قطب: **في ظلال القرآن**. (ج4 ص2227).

المبحث الثاني

تأثير التهم على الدعوة

إن شرط قبول الأخبار أن تكون مستندة إلى دليل ثابت، قال الله سبحانه: ﴿قُلْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[البقرة: 111]، هذا هو الأمر الذي يفرق بين كون الخبر علما صحيحا يجوز تصديقه ويصح نقله؛ وبين كونه مجرّد شكّ ينبغي طرحه وإهماله، ولكن واقع الحال يؤكد أن معظم الناس لا يبالون بهذا الشرط، فيصدقون كثيرا مما يسمعون بلا مبالاة بالصحة والصدق، وكثير منه يحتوي على الكذب بلا شك، وقد كان لهذا أكبر الأثر في التشويش على دعوة الأنبياء عليهم السلام، والحيلولة بين الناس وبين استجابتهم للمرسلين، فنجد القرآن يخبرنا أن الاتهامات التي نُسبت إلى الأنبياء لاقت قَبولا ورَواجا، مما جعل الناس ينفرون من الإيمان والهدى، وقد جاء ذلك في القرآن في حق ثلاثة من الأنبياء، وهم: نوح وموسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

ففي قصة نوح قال الله سبحانه: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[نوح: 26-27]، فنوح -عليه السلام- كان على يقين بأن ذرية الكافرين سيكونون كافرين كذلك! وهذا غيب، فكيف جزم به -عليه السلام-؟ والجواب: لأن الناس جعلوا يورثون فكرة عدائه لأبنائهم، فكانوا يربّون الصغار على ذلك، ويوصونهم بالثبات على تكذيبه -عليه السلام-. ولا أدل على ذلك مدة دعوته الطويلة، والتي استمرت تسعمائة وخمسين عاما؛ وما آمن معه إلا قليل، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾[العنكبوت:14]. فكان لهذه التهم المستمرة والتشويه المتوارث لنوح -عليه السلام-؛ أثر سلبي على دعوته، حتى أيس منهم ودعا عليهم.

وأما موسى -عليه السلام- فقد قال الله سبحانه في قصته حكاية عن فرعون: ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ

ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ ۝٥٣ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴾[الزخرف :52-54]، ففرعون كان يكيل التهم مرارا وتكرارا لموسى -عليه السلام- لإبعاد الناس عنه، فتارة يتهمه بالسحر، وتارة بالفساد، وتارة بالجحود -وكله تقدم[1]- ويزيد ههنا اتهام موسى -عليه السلام- بأنه مهين ليس معه شيء من متاع الدنيا، وليس معه مَلَك يؤكد صدقه، هذه الحرب الدعائية من قبل فرعون لاقت عقولا هشة فأثرت فيها؛ لأنهم أناس جهلة من عوام قوم فرعون، رأوا آيات موسى -عليه السلام- البينات وبراهينه الساطعات؛ لكن لشدة سفههم صدقوا أقوال فرعون، ورفضوا أفعال موسى -عليه السلام- بعدما كانوا قاب قوسين أو أدنى من اتباع الحق، قال الله سبحانه: {فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين} قال ابن عاشور: "أي: فتفرع عن نداء فرعون قومه أن أثر بتمويهه في نفوس ملئه، فعجلوا بطاعته بعد أن كانوا متهيئين لاتباع موسى لمّا رأوا الآيات، فالخفة مستعارة للانتقال من حالة التأمل في خلع طاعة فرعون والتثاقل في اتباعه إلى التعجيل بالامتثال له، كما يخفّ الشيء بعد التثاقل. والمعنى يرجع إلى أنه استخف عقولهم، فأسرعوا إلى التصديق بما قاله؛ بعد أن صدقوا موسى في نفوسهم لما رأوا آياته نزولا ورفعا"[2].

وتختلف الحال في قصة موسى عن قصة نوح -عليهما السلام-، بأن التهم الموجهة إلى موسى -عليه السلام- جاءت من قبل فرعون؛ وهو الملك المطاع بل المعبود من دون الله، بينما في قصة نوح جاءت التهم من قبل قومه، فحال موسى أشد تعقيدا وأكثر صعوبة، لأن الملك بيده مقاليد أمور الدولة، وبيده الأدوات والأساليب للترويج لكل ما يريد من أقوال وأفكار، إن لم يكن بالحسنى فبالحديد والنار، وهذا أمر مطّرد في شتى الممالك على مرّ الأزمان وليس مقتصرا على فرعون، وهذا فعل الطغاة في كل عصر ومصر[3].

---

[1] انظر: ص19، 22، 74.

[2] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (ج25 ص233).

[3] انظر: قطب: **في ظلال القرآن**. (ج5 ص3194).

وقد كان للتهم والإشاعات تأثير سلبي على دعوة النبي ﷺ كذلك، ومن الشواهد على ذلك ما تقدم من حادثة جمع الوليد بن المغيرة لقريش قُبيل موسم الحج، ليتفقوا على تهمة واحدة بحقه ﷺ؛ لإقناع الناس بالابتعاد عنه ومنعهم من الاستجابة إليه، حتى اتفقوا على وصفه بالساحر[1].

وفي القرآن ما يدل على جهود الكافرين في ذلك، قول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾[الأنعام: 26]، فكانوا ينهون الناس عن الاقتراب من النبي ﷺ أو سماع القرآن، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾[فصلت: 26]، ويبتعدون هم كذلك عنه، قال ابن عطية: "الضمير في قوله: {وهم} عائد على المذكورين قبل، والضمير في {عنه}، قال قتادة ومجاهد: يعود على القرآن المتقدم ذكره في قوله: أن يفهموه. وقال ابن عباس وابن الحنفية والضحاك: هو عائد على محمد -عليه السلام-، والمعنى: أنهم ينهون غيرهم ويبعدون هم بأنفسهم"[2].

والذي تولى كبر هذا الأمر من نشر الأكاذيب عن النبي ﷺ وتلفيق التهم له، وبذل وسعه واستفرغ طاقته في ذلك؛ هو عمه أبو لهب -لعنه الله-. فقد كان النبي ﷺ يدعو قبائلَ العرب القادمة من شتى بقاع الجزيرة العربية في موسم الحج، وكان أبو لهب يدخل وراءه عند كل قوم يخبرهم بأنه مبتدع ضالّ. قال ابن هشام: "قال ابن إسحاق وحدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، قال: سمعت ربيعة بن عباد، يحدثه أبي، قال إني لغلام شاب مع أبي بمنى، ورسول الله ﷺ يقف على منازل القبائل من العرب، فيقول: يا بني فلان، إني رسول الله إليكم، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بي، وتصدقوا بي، وتمنعوني، حتى أبيّن عن الله ما بعثني به. قال: وخلفه رجل أحول وضيء، له غديرتان عليه حلة عدنية. فإذا فرغ رسول الله ﷺ من قوله وما دعا إليه، قال ذلك الرجل: يا بني فلان، إن هذا إنما يدعوكم أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم، وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أقيش، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تطيعوه، ولا تسمعوا منه. قال: فقلت لأبي: يا

---

[1] انظر: ص20-21.

[2] ابن عطية: **المحرر الوجيز**. (ج2 ص280).

أبت، من هذا الذي يتبعه ويرد عليه ما يقول؟ قال: هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب، أبو لهب"[1].

ويخبرنا القرآن أن امرأة أبي لهب كانت تفعل فعل زوجها من محاربة دعوة النبي ﷺ بالنميمة والإفساد والدعاية الكاذبة، وذلك في قوله تعالى:﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾[المسد: 4]، قال ابن عطية: "وقيل هي استعارة لسعيها على الدين والمؤمنين، كما تقول: فلان يحطب على فلان، وفي حبل فلان، فكانت هي تحطب على المؤمنين وفي حبل المشركين"[2]، وقال المراغي: " أي وستعذب أيضا بهذه النار امرأته أروى بنت حرب أخت أبى سفيان بن حرب، جزاء لها على ما كانت تجترحه من السعى بالنميمة إطفاء لدعوة رسوله ﷺ، والعرب تقول لمن يسعى فى الفتنة ويفسد بين الناس: هو يحمل الحطب بينهم، كأنه بعمله يحرق ما بينهم من صلات"[3].

فتخيل مدى تأثير فعل أبي لهب على دعوة النبي ﷺ، فهو أقرب الناس إليه وأعرف الناس به. ولئن كان حال موسى –عليه السلام– على درجة من الصعوبة حيث المروّج للتهم هو الملك، فحال النبي ﷺ أصعب؛ حيث إن عمه صنو أبيه هو الذي يتحدث عنه ويحاربه.

وبالفعل فقد كان لهذه الدعوة المضادة تأثير بالغ على دعوة النبي ﷺ، فصار الناس يوصي بعضهم بعضا بالحذر منه –عليه الصلاة والسلام–. عن جابر بن عبد الله –رضي الله عنه– قال: "مَكَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ، يَتْبَعُ النَّاسَ فِي مَنَازِلِهِمْ بعُكَاظٍ وَمَجَنَّةَ، وَفِي الْمَوَاسِمِ بِمِنًى، يَقُولُ: مَنْ يُؤْوِينِي؟ مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي، وَلَهُ الْجَنَّةُ؟ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، أَوْ مِنْ مِصْرَ –كَذَا قَالَ– فَيَأْتِيهِ قَوْمُهُ، فَيَقُولُونَ: احْذَرْ غُلَامَ قُرَيْشٍ، لَا يَفْتِنُكَ، وَيَمْشِي بَيْنَ رِجَالِهِمْ، وَهُمْ يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ، حَتَّى بَعَثَنَا اللهُ لَهُ مِنْ يَثْرِبَ، فَآوَيْنَاهُ، وَصَدَّقْنَاهُ..."[4].

---

[1] ابن هشام: **السيرة النبوية**. (ج2 ص218).

[2] ابن عطية: **المحرر الوجيز**. (ج5 ص535).

[3] المراغي، أحمد بن مصطفى (ت 1371هـ): **تفسير المراغي**. ط1. (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده). 1365هـ–1946م. (ج30 ص261–262).

[4] أحمد: **المسند**. مسند جابر بن عبد الله. (ج22 ص347). ح14456. قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

فخلاصة القول أن الدعوات لم تكن تُحارب بالسلاح فقط؛ بل بالاتهامات والافتراءات، فيعملون على تشويه سمعة الدعاة ونعتهم بأقبح النعوت والأوصاف؛ ليسقطوهم من أعين الناس فينصرفوا عنهم؛ وهكذا يحولون بين الناس وبين الإيمان والهدى.

المبحث الثالث

تأثير التهم على الدعاة

لقد أرسل الله –عز وجل– رسلا من البشر ليبلغوا رسالته إلى سائر خالقه، ثم خلفهم في ذلك بشر مثلهم من أتباعهم يهتدون بهديهم ويستنون بسنتهم ويسلكون طريقهم في الدعوة إلى الله –عز وجل–، وكل من حمل لواء التوحيد على مر التاريخ تعرض للأذى، كما قال ورقة بن نوفل للنبي ﷺ: "لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ"[1]. وهؤلاء البشر جميعا لهم قلوب تشعر، وأحاسيس تتأثر، ومشاعر حزن وفرح، كغيرهم من سائر الناس. فلا شك أن الأذى الواقع عليهم باللسان جراء الاتهام والطعن يجرحهم ويحزنهم، وخاصة إذا كانوا من أهل الفضل، والأخلاق الكريمة، والخصال الحميدة، بل إن هؤلاء يؤثر فيهم طعن اللسان أكثر من طعن السنان، فجُرح العِرض أغور من جُرح الجلد. وقد قيل: جراحات السنان لها التئام * ولا يلتئم ما جرح اللسان[2].

وقد حدّث القرآن كيف أن موقف الكافرين من دعوة النبي ﷺ قد أثر فيه كثيرا، حتى كان يضيق صدره ويحزن لذلك، قال الله سبحانه:﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾[الحجر: 97]. وقال: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ﴾[الأنعام: 33]، ولكن هل سبب هذا الحزن في قلب النبي ﷺ نسبة التهم الباطلة إليه؟ فحزنه لشخصه؛ أم أن حزنه بسبب كفرهم؟ فحزنه عليهم. والجواب: حزنه بسبب الأمرين جميعا.

ويشهد للأول –أنه –عليه السلام– كان يحزن لما يُتهم به– قول الله سبحانه في تتمة آية الأنعام: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾. فالله سبحانه يخبره بأن لا يحزن لما

---

[1] (متفق عليه) **البخاري**: كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟ (ج1 ص7). ح3. مسلم: **صحيح مسلم**. كتاب: الإيمان، باب: بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ. (ج1 ص139). ح160.

[2] انظر البيت في: [الثعالبي، عبد الملك بن محمد (ت 429هـ): **الظرائف واللطائف**. جمع: أبو نصر المقدسي. تحقيق: ناصر محمدي محمد جاد. (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية). 1430هـ–2009م. ص167]. وانظر: [البكري، عبد الله بن عبد العزيز (ت 487هـ): **فصل المقال في شرح كتاب الأمثال**. تحقيق وتقديم: إحسان عباس وعبد المجيد عابدين. (دار الأمانة ومؤسسة الرسالة). 1391هـ–1971م. ص24].

[2] انظر: ص38.

نسبوه إليه من الكذب، لأنهم في الحقيقة لا يتهمونه هو، بل مشكلتهم مع آيات الله التي جاء بها، قال السعدي: "أي: قد نعلم أن الذي يقول المكذبون فيك يحزنك ويسوءك، ولم نأمرك بما أمرناك به من الصبر إلا لتحصل لك المنازل العالية والأحوال الغالية. فلا تظن أن قولهم صادر عن اشتباه في أمرك، وشك فيك؛ {فإنهم لا يكذبونك} لأنهم يعرفون صدقك ومدخلك ومخرجك، وجميع أحوالك، حتى إنهم كانوا يسمونه –قبل البعثة– الأمين {ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون} أي: فإن تكذيبهم لآيات الله التي جعلها الله على يديك"[1].

ويشهد لهذا كذلك آية الحجر، فقد قال الله سبحانه قبلها بآيتين: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾[الحجر: 95]، فصرح بأن صدره يضيق لأنهم يستهزؤون به وينسبون إليه ما ليس فيه. قال الشوكاني: "ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون؛ من الأقوال الكفرية المتضمنة للطعن على رسول الله ﷺ بالسحر والجنون والكهان والكذب، وقد كان يحصل ذلك مع رسول الله ﷺ بمقتضى الجبلّة البشرية والمزاج الإنساني"[2].

ويشهد لهذا أيضا أن الله –عز وجل– ذكر في بداية هذه السورة اتهامهم له ﷺ بالجنون بقوله: ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾[الحجر: 6]، ثم جاء في نهاية السورة تسلية للنبي ﷺ بأن الله سبحانه يعلم ما يختلج في صدره جراء اتهامه بذلك، وهذا من التناسب بين أول السورة وآخرها، قال البقاعي: "ولما كان صدعه ﷺ بذلك على حد من المشقة عظيم وإن أريح من المستهزئين، لكثرة من بقي ممن هو على مثل رأيهم، قال يسلّيه ويسخي بنفسه فيه: {ولقد نعلم} أي: تحقق وقوع علمنا على ما لنا من العظمة {أنك} أي: على ما لك من الحلم وسعة البطان {يضيق صدرك} أي: يوجد ضيقه ويتجدد {بما يقولون} عند صدعك لهم بما تؤمر، في حقك من قولهم: {ياأيها الذي نزل عليه الذكر} إلى آخره"[3].

---

[1] السعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. (ج1 ص254).

[2] الشوكاني: **فتح القدير**. (ج3 ص173).

[3] البقاعي، إبراهيم بن عمر: **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**. 22 مج. (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي). (ج11 ص98)

ويردُ هنا سؤال مهم، وهو كيف قال الله تعالى له: {فإنهم لا يكذبونك} وقد نعتوه بالكذب صراحة كما تقدم في مطلب "التهمة بالكذب"؟[1] والجواب عن ذلك أن المعنى: تكذيبهم الحقيقي ليس متّجها إليك، بل هو لمن أرسلك، أو المعنى: لا يكذبونك بقلوبهم ولكن بألسنتهم[2].

ومما يشهد للثاني؛ من أن حزنه وضيق صدره كان عليهم بسبب كفرهم وموت بعضهم على ذلك، قول الله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَـٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾[الكهف: 6]، وقوله: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ﴾[فاطر: 8]، فهذه الآيات تدل صراحة على حزن النبي ﷺ عليهم، فالخلاصة إذا أنّ حزنه ﷺ كان بسبب الأمرين جميعا[3].

وقد ورد في الآيتين ما يُسلِّي رسول الله ﷺ، ويخفف عنه ضيق صدره، ففي آية الأنعام يخبره الله –عز وجل– بأنه يعلم ما في صدره، وأن تكذيبهم إنما هو في الحقيقة لله، وليس له. وفي هذا إشارة مهمة وهي: تَفَكَّر يا محمد ﷺ بجرمهم في تكذيب رب العالمين سبحانه، يخف عنك جرمهم في تكذيبك، قال البقاعي:" {فإنهم} أي: فلا يحزنك ذلك فإنهم {لا يكذبونك} بل أنت عندهم الأمين، وليكن علمنا بما تلقى منهم سبباً لزوال حزنك، وكذا إخبارنا لك بعدم تكذيبهم لك، بل أنت عندهم في نفس الأمر أمين غير متهم ولكنهم لشدة عنادهم، ووقوفهم مع الحظوظ، وعجزهم عن جواب يبرد غللهم ويشفي عللهم ينكرون آيات الله مع علمهم بحقيتها، فليخفف حزنك لنفسك ما انتهكوه من حرمة من أرسلك"[4].

وأرشد الله تبارك وتعالى نبيه ﷺ في آية الحجر أن يسبح الله ويكثر من ذكره، وأن يداوم على الصلاة، فهذا يكشف الغم ويزيل الهم ويرفع الضيق عن الصدر[5]. ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ﴾[الحجر: 98]. ويؤكد هذا قول الله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾[الرعد: 28]. وقد فعل كذلك ﷺ، فكان يهرع إلى الصلاة

---

[1] انظر: ص61.

[2] انظر: الزمخشري: **الكشاف**. (ج2 ص18).

[3] انظر: ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. (ج7 ص203).

[4] البقاعي: **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**. (ج7 ص95-96).

[5] انظر: السعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. (ج1 ص435).

عندما يضيق صدره وتكثر عليه الهموم، عن حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- قال: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ، صَلَّى"[1]. وكان يقول: "قُمْ يَا بِلَالُ فَأَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ"[2].

وهذا الذي ذُكر من التثبيت هو بعضُ ما كان يثبت الله -عز وجل- به نبيه ﷺ، وإلا فقد ورد أكثر من ذلك، كإخباره بقصص الأنبياء، وما تعرضوا له من الأذى في سبيل الله، قال الله سبحانه: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[هود: 120]، ومن ذلك أيضا إنزال القرآن مُنجّما، وتكرار دخول جبريل -عليه السلام- عليه؛ مما يشعره بأن الله سبحانه معه ولم يتركه، قال الله سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾[الفرقان: 32].

ولئن كان التكذيب والاتهام والعناد على الكفر قد أثر في نفس النبي ﷺ حتى حزن قلبه وضاق صدره، فقد أثر في غيره من الأنبياء بصورة أكبر، فهذا يونس -عليه السلام- لم يحتمل ردة فعل قومه وعدم استجابتهم له، فرحل عنهم، كما قال الله سبحانه: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الانبياء: 87]، قال القرطبي: "والمعنى: مغاضبا من أجل ربه، كما تقول: غضبت لك أي من أجلك. والمؤمن يغضب لله -عز وجل- إذا عُصي"[3].

وقد أمر الله سبحانه نبيه ﷺ أن لا يحمله موقف قومه على تركهم ومفارقتهم، كما جرى لأخيه يونس -عليه السلام-، فقال: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾[القلم: 48]، قال ابن كثير: "{فاصبر} يا محمد على أذى قومك لك وتكذيبهم؛ فإن الله سيحكم لك عليهم، ويجعل العاقبة لك ولأتباعك في الدنيا والآخرة، {ولا تكن كصاحب الحوت} يعني: ذا النون، وهو يونس بن متى -عليه السلام-، حين ذهب مغاضبا على قومه، فكان من

---

[1] أبو داود: **سنن أبي داود.** أبواب: قيام الليل. باب: وقت قيام النبي ﷺ من الليل. (ج2 ص35) ح1319. وحسنه الشيخ الألباني.

[2] أبو داود: **سنن أبي داود.** كتاب: الأدب. باب: في صلاة العتمة. (ج4 ص296) ح4986. وصححه الشيخ الألباني.

[3] القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن.** (ج11 ص329). وانظر: البيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل.** (ج4 ص59).

أمره ما كان؛ من ركوبه في البحر والتقام الحوت له، وشرود الحوت به في البحار وظلمات غمرات اليم، وسماعه تسبيح البحر بما فيه للعلي القدير، الذي لا يرد ما أنفذه من التقدير"[1]، ولعل قائلا يقول: إن يونس –عليه السلام– عندما ذهب مغاضبا، إنما فعل ذلك لعدم استجابة قومه له وإصرارهم على الكفر، وليس بسبب ما اتهموه به. والجواب: لا يمكن الجزم بذلك، لأن الآيات التي تحدثت عنه طَوَت ذكر السبب، فيبقى الاحتمال قائما بأن مفارقته لهم ربما كانت بسبب الأمرين جميعا؛ من كفرهم، واتهامهم له بالكذب والسحر والجنون[2]، لا سيما أن التكذيب متضمن لنعته بالكذب، وهذه تهمة في حقه –عليه السلام–.

والخلاصة بعد هذا كله؛ أن التهم لها تأثير بالغ على الدعاة، حيث يُتهمون بما هم بريئون منه من النقائص والعيوب. خاصة أنهم من أطيب الناس ذكرا وأكرمهم عند أقوامهم، وهذا يؤثر فيهم سلبا، فيُدخل عليهم الحزن والضيق والكرب، بل ربما بلغ بهم الأمر إلى القعود والاستسلام والتخلي عن طريقهم في الدعوة إلى الله. وكم من أناس تساقطوا على طريق الدعوة لأسباب عديدة؛ كان منها ما نسب إليهم من التهم الباطلة والافتراءات الكاذبة، سواء كان ذلك من قبل أعداء الدين أو من المسلمين أنفسهم.

والملاذ من ذلك كله اتباع الوصايا الربانية التي سبق بيانها من ذكر الله سبحانه، وكثرة السجود له، والتفكر في حياة الدعاة على مر الأزمان، وما نالهم من الأذى في سبيل الله، وعلى رأس ذلك كله الصبر، وقد تم إفراد مبحث مستقل له، لإعطائه حقه في هذه الدراسة لشدة أهميته[3].

---

[1] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**. (ج8 ص201).

[2] دليل تهمتي السحر والجنون بحق يونس –عليه السلام–، عموم قول الله سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾[الذاريات: 52].

[3] انظر: ص115.

الفصل الرابع

التعامل مع التهم ومعالجتها

المبحث الأول: الاحتراز من التهم لمنع وقوعها

المبحث الثاني: الصبر على التهم عند وقوعها

المبحث الثالث: دحض التهم وتفنيدها

المبحث الأول

الاحتراز من التهم لمنع وقوعها

إن من الحكمة أن يستشرف الإنسان المستقبل، ويفكر في نتائج أعماله وتداعياتها، ويحاول بهذا التفكير أن يختار الأصوب حسبما يوصله إليه علمه واجتهاده؛ مع التأكيد على أنه يمكن أن يقع في الخطأ؛ لأن الغيب مما اختص الله -عز وجل- بعلمه: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾[النمل: 65]. واستشراف الإنسان للمستقبل يجعله يتخذ إجراءات وقائية تحميه من الأذى الذي يمكن أن يصيبه، وقد قيل: درهم وقاية خير من قنطار علاج.

لذلك فقد ورد في القرآن آيات من قبيل الوقاية والاحتراز؛ لِمَا يحتمل أن يكون تهمة أو مَطْعَنا في حق حاملي الرسالة، وهذا من الخطوات الاستباقية لمنع ما يؤثر سلبا على الدعوة إلى الله، وكيف لا يحتوي القرآن الكريم على مثل ذلك وهو كلام الخالق الحكيم المحيط سبحانه، الذي ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾[الطلاق: 12].

ومما جاء في القرآن من ذلك على لسان كثير من الأنبياء: تصريحهم بأنهم لا يبغون أجرا ولا يطلبون عوضا على هداية الناس، قال الله سبحانه على لسان نوح -عليه السلام-: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ﴾[هود: 29]، وفي موضع آخر على لسانه كذلك: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[الشعراء: 109]، وجاءت هذه الآية مكررة في سورة الشعراء على لسان هود: [الشعراء: 127]، وصالح: [الشعراء: 145]، ولوط: [الشعراء: 164]، وشعيب: [الشعراء: 180] -عليهم الصلاة والسلام-. وجاءت في حق النبي محمد ﷺ في مواضع عديدة، قال الله سبحانه: ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ﴾[ص: 86]، وقال: ﴿وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[يوسف: 104]، وقال: ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا﴾[الفرقان: 57].

فهذا التصريح من جهة الأنبياء بأنهم لا يقصدون بدعوتهم منفعة مادية ولا مصلحة دنيوية؛ فيه رد على ما يمكن أن يُتَّهَموا به من أنهم طلاب دنيا يسعون لتكثير أموالهم. وقد زادوا كلامهم تأكيدا بأن لهم أجرا سينالونه، وليس الأمر بلا مقابل، ولكن أجرهم وثوابهم عند الله الذي أرسلهم، قال ابن كثير: "أي: لا أطلب منكم جزاء على نصحي لكم، بل أدخر ثواب ذلك عند الله {فاتقوا الله وأطيعون} فقد وضح لكم وبان صدقي ونصحي وأمانتي فيما بعثني به وأُتمنني عليه"[1].

وجاء في حق النبي ﷺ صيغة أخرى فيها تأكيد على أن النبي ﷺ لم يطلب من قومه مكافأة حتى يكون ذلك مانعا من استجابتهم له، قال الله سبحانه: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾[الطور: 40] و[القلم: 46]، قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: أتسأل هؤلاء المشركين الذين أرسلناك إليهم يا محمد على ما تدعوهم إليه من توحيد الله وطاعته ثوابا وعوضا من أموالهم، فهم من ثقل ما حملتهم من الغرم لا يقدرون على إجابتك إلى ما تدعوهم إليه"[2]، والجواب طبعا: كلا، لم تسألهم.

وفي آية الشعراء التي تكررت ملمح جميل جدا يحسن الإشارة إليه، وهو أن هناك نبيين آخرين ذُكرت قصتهما في السورة ذاتها ولكنهم لم يقولوا لأقوامهم ذلك، وهما إبراهيم وموسى عليهما السلام، وذلك ليس لأنهم يخالفون إخوانهم الأنبياء في هذا المبدأ –حاشاهم– ولكن لأن موسى –عليه السلام– وَجَّهَ خطابه لفرعون، وفرعون قد رباه، وكان ضمن من دعاهم إبراهيمُ أباه، وأبوه قد رباه كذلك، ولا يليق قول مثل ذلك لمن تقدم منه الفضل عليك، قال الكرماني: " وليس في قصة موسى –عليه السلام– لأنه ربّاه فرعون، حيث قال: {ألم نربك فينا وليدا}، ولا في قصة إبراهيم –عليه السلام–؛ لأن أباه في المخاطبين، حيث يقول: {إذ قال لأبيه وقومه} وهو رباه، واستحيا موسى وإبراهيم أن يقولا: {ما أسألكم عليه من أجر} وإن كانا منزّهَين من طلب الأجرة"[3].

---

[1] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**. (ج6 ص151). وانظر: السعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. ص596.

[2] الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**. (ج22 ص483).

[3] الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر: **البرهان في توجيه متشابه القرآن**. تحقيق: عبد القادر أحمد عطا. (دار الفضيلة). ص190.

وثَم مثال آخر في القرآن جاء فيه احتراز من نسبة نقص لنبي من أنبياء الله سبحانه، هو داود –عليه السلام–، وذلك في قول الله –جل وعلا–: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾[الأنبياء: 78–79]، ولا يهمّ معرفة تفاصيل القصة: كسبب الخصام، وحكم كل من داود وسليمان عليهما السلام، فقد طوى القرآن ذكرها، مما يعني أنها ليست ذات أهمية، والذي يهمنا ما جاء في الآية من أن سليمان –عليه السلام– قد وُفِّق للصواب في حكمه أكثر من داود:{ففهّمناها سليمان}، وهذا ربما يُفهم منه حطّاً من علم داود وفهمه بالمفهوم المخالف، فوصف الله –عز وجل– كليهما بالحكمة والعلم احترازا من ذلك، فقال: {وكُلاً آتينا حكما وعلما}، قال القرطبي: "قال الحسن: أثنى على سليمان ولم يذم داود"[1]، وقال أبو السعود: "وقوله تعالى {وكلا آتينا حكما وعلما} لدفع ما عسى يُوهِمه تخصيصُ سليمانَ –عليه السلام– بالتفهيم من عدم كون حكم داودَ –عليه السلام– حكماً شرعياً، أي: وكلُّ واحد منهما آتينا حكماً وعلماً كثيراً، لا سليمان وحده"[2].

ويضاف إلى هذين المثالين ما تقدم من أن رسل الله سبحانه كانوا على درجة من الكمال البشري[3]، وهذا من الاحتراز، فلو كانت فيهم عيوب ظاهرة وصفات منفرة لاتخذ الناس ذلك حجة وذريعة لتكذيبهم، بأنه لا يعقل أن يرسل اللهُ سبحانه معيبا ناقصا يتكلم باسمه. ولما كان الأنبياء أكمل الناس مظهرا ومَخْبَرا كان ذلك أدعى إلى تصديقهم بأنهم مرسلون من عند الله سبحانه وتعالى.

فالمستفاد إذا مما تقدم أنه لا بد من الحذر والاحتياط، ولا بد من اتخاذ الاجراءات الوقائية اللازمة في أعمالنا وتصرفاتنا وحتى في كلامنا؛ لتفادي كل سوء ظن يفضي إلى الاتهام والطعن، وهذا يتأكد في حق الدعاة أكثر؛ لأنهم يُقصدون في التهم أكثر من غيرهم.

---

[1] القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن.** (ج11 ص311).

[2] أبو السعود: **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم.** (ج6 ص79).

[3] انظر: ص90.

وقد أرشدنا النبي ﷺ إلى هذا الأصل، فأوصانا بالابتعاد عن مواطن التهم، وترك الشبهات التي هي باب لاتهام المرء بما ليس فيه، وتجنُّبها حماية لدينه وعرضه من كل طعن محتمل، قال ﷺ: "إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ"[1].

فكلما ابتعدت عن مواطن الشبهات والريب ابتعدت التهم عنك، وهذا هو الاستبراء للعرض، قال ابن رجب الحنبلي: "ومعنى استبرأ: طلب البراءة لدينه وعرضه من النقص والشين، والعِرْض: هو موضع المدح والذم من الإنسان، وما يحصل له بذكره بالجميل مدح، وبذكره بالقبيح قدح، وقد يكون ذلك تارة في نفس الإنسان، وتارة في سلفه، أو في أهله، فمن اتقى الأمور المشتبهة واجتنبها؛ فقد حصن عرضه من القدح والشين الداخل على من لا يجتنبها، وفي هذا دليل على أن من ارتكب الشبهات، فقد عرض نفسه للقدح فيه والطعن، كما قال بعض السلف: من عرّض نفسه للتهم، فلا يلومن من أساء به الظن"[2].

---

[1] (متفق عليه) **البخاري**: كتاب: الإيمان، باب: فضل من استبرأ لدينه. (ج1 ص20). ح52. **مسلم**: **صحيح مسلم**. كتاب: المساقاة، باب: أخذ الحلال وترك الشبهات. (ج3 ص1219). ح1599.

[2] ابن رجب، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد (ت 795هـ): **جامع العلوم والحكم**. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. ط7. (بيروت: مؤسسة الرسالة). 1422هـ-2001م. (ص202-203).

المبحث الثاني

الصبر على التهم عند وقوعها

سبق بيان أهمية الاحتراز من التهم لمنع وقوعها، والمسلم يعلم أن ذلك لن يمنعها مطلقا، بل لا بد من حصول شيء منها، فإذا حصلت وصارت واقعا مُرّا يعاني منه المتَّهَمون، فكيف ينبغي التصرف تجاه ذلك؟ هذا ما سيتناوله هذا المبحث والذي يليه.

من المعلوم أن النيل من عرض الإنسان يؤذيه، وموقف المسلم من الأذى الذي يتعرض له في هذه الحياة –خاصة إذا كان في سبيل الله– هو الصبر والتسليم، وله بذلك الأجر العظيم عند الله تبارك وتعالى، كما جاءت بذلك النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[الزمر: 10]. وقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾[البقرة: 155–157]، وقد قال الإمام أحمد رحمه الله: "ذكر الله الصبر في القرآن في تسعين موضعا"[1]. ولا مجال لبسطها هنا حتى لا يخرج البحث عن مبتغاه، فتُقصد في مظانها من كتب الأخلاق والسلوك[2]. وأشير فقط إشارة واحدة إلى فضيلة الصبر، وهي في قول الله جل وعلا: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[الرعد: 23–24].

في هذه الآية لطيفة جميلة ومهمة، وهي ما جاء على لسان الملائكة وهم يُحَيُّون أهل الجنة حيث يقولون: {سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار} فهم يقولون للمؤمنين: إن ما أوصلكم إلى هنا هو الصبر، ولولاه لما وصلتم! ومن المعلوم أن ما يوصل المؤمنين إلى الجنة هو الإيمان بالله والتزام الواجبات واجتناب المحرمات، ولكن الملائكة عدلوا عن ذكر هذه الأركان المهمات إلى ذكر الصبر، وذلك لأنه الجامع بينها جميعا، وهو أساسها الذي ترتكز عليه، قال

---

[1] ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر: **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**. تحقيق: إسماعيل بن غازي مرحبا. (دار عالم الفوائد). (ص129).

[2] من أفضل الكتب في باب الصبر، الكتاب الآنف الذكر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين للإمام ابن قيم الجوزية.

علي بن أبي طالب –رضي الله عنه–: "واعلموا أن منزلة الصبر من الإيمان كمنزلة الرأس من الجسد، فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد، وإذا ذهب الصبر ذهب الإيمان"[1]، ويشهد لهذا قول النبي ﷺ: "وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ"[2]، فهو خير عطاء؛ لأنه مطلوب في جميع أحوال الدين والدنيا، ولا وصول إلى الجنة إلا به. وقد أمر الله –عز وجل– بالاستعانة بالصبر، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[البقرة: 153].

وقد كان هذا موقف الأنبياء والرسل من كل ما نالهم من أذى أقوامهم في أعراضهم وأجسادهم، قال الله سبحانه على لسانهم: ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ ﴾[إبراهيم: 12]، وهذا ما أمر الله –عز وجل– به نبيه محمدا ﷺ، فقال: ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾[طه: 130]، قال الطبري: "وقوله {فاصبر على ما يقولون} يقول جل ثناؤه لنبيه: فاصبر يا محمد على ما يقول هؤلاء المكذبون بآيات الله من قومك لك إنك ساحر، وإنك مجنون وشاعر ونحو ذلك من القول"[3]. وقال: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[ص: 17]، قال ابن عطية: "وقوله تعالى: {اصبر على ما يقولون} أي: من هذه الأقاويل التي يريدون بها الاستخفاف، ولا تلتفت إليها"[4].

ولما كان هذا الأذى من الاتهام والطعن واقعا على الأنبياء قبل نبينا محمد ﷺ، عطف الله –عز وجل– على الأمر بالصبر في آية "ص" قوله: {واذكر عبدنا داود}، وذكر بعده في السورة نفسها عددا من الأنبياء، وفي ذلك إخبار للنبي ﷺ بأن الأذى والاضطهاد أصاب الأنبياء كذلك، وأن الجنة إنما تنال بالصبر على المشاق، فيكون ذلك عونا له على الثبات[5].

وقد تحقق النبي ﷺ بهذه المعاني، فكان إذا ناله من الناس أذى يتذكر ما أصاب إخوانه الأنبياء فيصبر، عن عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه– قال: " قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ قَسْمًا، فَقَالَ رَجُلٌ:

[1] ابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة: **المصنف في الأحاديث والآثار**. تحقيق: كمال يوسف الحوت. ط1. (الرياض: مكتبة الرشد). 1409هـ. كتاب: الزهد، باب: كلام علي بن أبي طالب –رضي الله عنه–. (ج7 ص101). ح34504.

[2] **البخاري**: كتاب: الزكاة، باب: الاستعفاف عن المسألة. (ج2 ص122). ح1469.

[3] الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**. (ج21 ص 166).

[4] ابن عطية: **المحرر الوجيز**. (ج4 ص496).

[5] انظر: الرازي: **مفاتيح الغيب**. (ج26 ص373).

إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَغَضِبَ حَتَّى رَأَيْتُ الغَضَبَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَرْحَمُ اللَّهَ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ"[1]، وذلك قول الله سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾[الصف: 5]، قال الزمخشري: " كانوا يؤذونه بأنواع الأذى من انتقاصه وعيبه في نفسه، وجحود آياته، وعصيانه فيما تعود إليهم منافعه، وعبادتهم البقر، وطلبهم رؤية الله جهرة، والتكذيب الذي هو تضييع حق الله وحقه"[2].

فالخلاصة إذا أنه لا بد من الصبر عند التعرض للتهمة، كما يجب عند كل مصيبة ونازلة، ومما يستحث النفس على ذلك؛ رؤية الكافرين وأهل الباطل يتواصون بالصبر على ما هم فيه من الضلال والشرك؛ الذي ليس لهم بعده إلا النار، بينما المؤمنون موعودون على صبرهم بالأجر والجنة والرضوان من الله سبحانه، فهم أولى بالصبر منهم[3]، قال الله تعالى: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ﴾[ص: 6]، ومما يعين المسلم على الصبر معرفة حقيقة الدنيا، وأنها دار امتحان واختبار، ودار مشاق وصعاب، ثم معرفته بأن طريق الأنبياء والدعاة محفوفة بالأذى والمعاناة والألم، وقد سئلت عائشة –رضي الله عنها–: "هَلْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي وَهُوَ قَاعِدٌ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، بَعْدَمَا حَطَمَهُ النَّاسُ"[4].

وفي ختام هذا المبحث تَحسن الإشارة إلى بشارتين، **أولاهما:** أن الصبر مُوصِل إلى رفعة ما بعدها رفعة، وتحصيل لوسامِ شرفٍ عظيمٍ هو لقب "نعم العبد" الذي ناله أيوب –عليه السلام–، وقد قرن الله سبحانه هذا الوسام بالصبر، فقال: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[ص: 44].

---

[1] (متفق عليه) **البخاري**: كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: حديث الخضر مع موسى –عليهما السلام–، (ج4 ص157). ح3405. مسلم: **صحيح مسلم**. كتاب: الزكاة، باب: إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه، (ج2 ص739). ح1062.

[2] الزمخشري: **الكشاف**. (ج4 ص524).

[3] انظر: القشيري: **لطائف الإشارات**. (ج3 ص246).

[4] **مسلم: صحيح مسلم**. كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: جواز النافلة قائما وقاعدا، وفعل بعض الركعة قائما وبعضها قاعدا. (ج1 ص506). ح732.

وثانيهما: وعد النبي ﷺ بالفرج والتمكين والنصر للصابرين، قال ﷺ: "وَاعْلَمْ أنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ"[1].

[1] أحمد: **المسند**. مسند عبدالله بن عباس. (ج5 ص18-19). ح2803. وصححه الشيخ الأرنؤوط.

المبحث الثالث

دحض التهم وتفنيدها

من المعلوم أن كثيرا من التهم التي وجهت إلى الأنبياء والصالحين لم تصدر عن قناعة من أصحابها المتَّهِمين، بل كانوا يعلمون أنها كذب وتلفيق، ومن كان أمره كذلك لا حاجة إلى الرد عليه؛ لأن السبب وراء ادعاءاته هو الكبر والعناد، فلا فائدة من إظهار الحق له فهو يعلمه، ولو كان عدم اقتناعه يرجع إلى الجهل أو النسيان لكان في الرد عليه وجه صائب، أما والحال هو التعصب؛ مع معرفة الحق والحياد عنه، فلا فائدة من خوض أي نقاش معه.

هذا الفهم يجعل الإعراض عن المعاندين يبدو هو الصواب لأول وهلة، ولكن هناك مُعطى آخر يجب عدم إغفاله، وهو كفيل بأن يجعل هذا النظر قاصرا وهذا الرأي مرجوحا، ذلك أن ثمة أناسا آخرين من طبقة العوام يشهدون هذا الحوار بين الحق والباطل، ولا يعلمون الصواب أين هو، وهم ينتظرون ظهوره ليتبعوه، فوجود هؤلاء العوام يقتضي الرد على كل فرية ودحض كل تهمة تنسب إلى الإسلام والمسلمين. فالرد إذا ليس لأجل من حاكها ودبرها من الأعداء الذين يعرفون ويحرّفون؛ ولكن لأجل سائر الناس من العوام.

ويشهد لصحة هذا الرأي آيةٌ في كتاب الله؛ شبيه معناها بما تم إيراده آنفا، وهي قول الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[البقرة: 6]، قال الرازي: "إنما حكم الله تعالى عليهم بأنهم لا يرجعون عن أباطيلهم بسبب البرهان؛ وذلك لأن إعراضهم عن قبول هذا الدين ليس عن شبهة يزيلها بإيراد الحجة، بل هو محض المكابرة والعناد والحسد، وذلك لا يزول بإيراد الدلائل"[1].

وإذا كانوا لا ينتفعون بالإنذار فلماذا أرسل الله سبحانه إليهم من ينذرهم؟ والجواب لأمرين: الأول: إقامة الحجة عليهم، والثاني: لينتفع بالإنذار غيرهم[2]. فهذا يؤكد أن الصواب هو التصدي

---

[1] الرازي: **مفاتيح الغيب.** (ج4 ص108).

[2] انظر: السنيكي، أبو يحيى زكريا بن محمد (ت 926هـ): **فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن.** تحقيق: محمد علي الصابوني. ط1. (بيروت: دار القرآن الكريم). 1403هـ-1983م. (ص15).

لكل الإشاعات والأكاذيب والتهم الباطلة التي يقصد منها النيل من الإسلام أو حامليه، لرفع الإشكال لدى جميع الناس، لا سيما أن كثيرين يعتقدون بأن عدم الرد يعني أنه لا رد.

وقد كان منهج القرآن أنه لا يترك التهمة أو الفرية بلا رد، بل يورد وراء كل شبهة جوابا عليها. وفي هذه الدراسة تم إتباع كل تهمة بالرد عليها من القرآن أو السنة أو المنطق العقلي أو شهادة الكافرين أو الواقع المشاهد[1]، وسيتم هنا استعراض الآيات التي جاءت ردا على التهم المنسوبة إلى الأنبياء والصالحين؛ ليتبين منهج القرآن، فتُذكر التهمة ثم الآية التي فيها الجواب عنها:

1. التهمة بالكفر: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾[البقرة: 102].

2. التهمة بالسحر: ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾[يونس: 77].

3. التهمة بالجنون: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾[الأعراف: 184].

4. التهمة بالكهانة: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾[الشعراء: 210-212].

5. التهمة بالكذب: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾[الحاقة: 44-46]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾[غافر: 28].

6. التهمة بالزنا: في الرد عن يوسف –عليه السلام–: ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَاۚ وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾[يوسف: 28-29]، وقال: ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[يوسف: 51]، وأنطق عيسى في مهده دفاعا

[1] انظر: الفصل الثاني من هذه الدراسة.

عن أمه مريم: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾[مريم: 29-30]، وفي حق عائشة: ﴿لَّوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾[النور: 13].

7. التهمة بالضلال: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٦١) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف: 61-62]، وقال: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[النجم:2-4].

8. التهمة بالشعر: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾[يس: 69]، وقال: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾[الشعراء: 224-226]، وقال: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾[الحاقة: 41].

9. التهمة بالاستهزاء: قال الله تعالى حكاية عن موسى –عليه السلام–: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[البقرة: 67].

10. التهمة بالعيب الجسدي: ﴿فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾[الأحزاب: 69]، فأشار القرآن إلى براءة موسى منه، وأوضحت ذلك السنة النبوية في الخبر الصحيح.

11. التهمة بالسرقة العلمية: ﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾[النحل: 103]، ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾[العنكبوت: 48]، وقال: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[الفرقان: 6].

12. التهمة بالإفساد في الأرض: قال الله تعالى على لسان موسى –عليه السلام–: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[الشعراء: 22]. فبين موسى لفرعون أنه هو المفسد حقا.

13. التهمة بالسذاجة: ﴿قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ﴾[التوبة: 61].

14. التهمة بالنفعية والوصولية: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ﴾[الليل: 19-21].

15. التهمة بترك العدل في القسمة: ﴿فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ﴾[التوبة: 58].

ويُلاحظ عدم الرد في تهمتين، وهما: التهمة بالسرقة في حق يوسف –عليه السلام–، والتهمة بالسعي وراء السلطة والملك. والجواب عن ذلك ظاهر إن شاء الله:

أما التهمة بالسرقة فلم يَرُدَّ عليها يوسف –عليه السلام–؛ لأنه لم يُرِد أن يكشف عن شخصه لإخوته في تلك المرحلة، فلقد رأى أن المصلحة تقتضي عدم الرد، فاكتفى بالرد في نفسه: ﴿قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾[يوسف: 77]، قال الزمخشري: "كأنه قيل: فأسرّ الجملة أو الكلمة التي هي قوله {أنتم شر مكانا} والمعنى: قال في نفسه {أنتم شر مكانا} لأن قوله: {قال أنتم شر مكانا} بدل من أسرَّها"[1]، وأما التهمة بالسعي وراء السلطة والملك، فلأن القيادة حق للأنبياء بوصفهم رسل الله واختيار الله والمبلغون عن الله –عز وجل–، وعند تصديقهم والاستجابة لهم سيكون الناس تبعا لهم ولا بد، وسيكونون هم رأس السلطة، ولا أحد أحق منهم بذلك المنصب، فلا يستطيعون نفيه لأجل ذلك.

فالخلاصة مما تقدم؛ أن المنهج الصحيح هو التصدي لكل ما يوَجَّه إلى الإسلام والمسلمين من شبهات ومطاعن، لبيان وجه الحق للناس جميعا. وعدم الرد يفهمه البعض قصورا في الدين أو أصحابه، مما يقوي جانب الباطل ويضعف جانب الحق، وهذا خطر عظيم فلا بد من البيان وهذا منهج القرآن.

---

[1] الزمخشري: **الكشاف**. (ج2 ص493).

الفصل الخامس

اتهام الصالحين بين الماضي والحاضر

المبحث الأول: التهم وسنة الابتلاء

المبحث الثاني: تشابه التهم قديما وحديثا

المبحث الثالث: التهم في ظل العصر الحديث

المبحث الأول

التهم وسنة الابتلاء

لقد شاءت إرادة الله سبحانه أن يكون الأنبياء والصالحون من أشد الناس بلاء، فعن سعد بن أبي وقاص –رضي الله عنه– قال: "قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاَءً؟ قَالَ: الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاَؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ البَلاَءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ"[1].

والشواهد على كون الأنبياء أشد الناس بلاء كثيرة متضافرة؛ نجدها في القرآن والسنة، وحسبنا حال نبينا محمد ﷺ، حيث ولد يتيما بلا أب، وماتت أمه وهو ابن ست سنين. ناهيك عما تعرض له من أذى قومه من السب والشتم والضرب والخنق والطرد والعداء، وقَتْلُ عمه وأصحابه وما ناله في أُحُد، وغير ذلك مما هو معروف محفوظ في كتب السيرة. وقد أوصاه ربه بالصبر، كما صبر صفوة الأنبياء نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فقال: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[الأحقاف: 35].

ولعل من أشد البلاء الذي أصابه ﷺ؛ أن توفي ستة من أصل سبعة من أبنائه في حياته: وهم القاسم وعبد الله وإبراهيم وزينب ورقية وأم كلثوم، وعاشت فاطمة بعده ستة أشهر ثم ماتت، –رضي الله عنهم جميعا–. وهذا من أعظم البلاء كما هو معلوم. وقال ﷺ في مرضه الذي مات فيه: "إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ"[2].

---

[1] الترمذي: **جامع الترمذي**. أبواب: الزهد. باب: ما جاء في الصبر على البلاء. (ج4 ص179). ح2398. ابن ماجة: **سنن ابن ماجة**. كتاب: الفتن، باب: الصبر على البلاء. (ج2 ص1334). ح4023. قال الألباني: حسن صحيح.

[2] (متفق عليه) **البخاري**: كتاب: المرضى، باب: وضع اليد على المريض. (ج7 ص118). ح5660. مسلم: **صحيح مسلم**. كتاب: البر والصلة والآداب. باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، أو حزن، أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها. (ج4 ص1991). ح2571.

وإن التهم التي تمس الأعراض نوع من أنواع البلاء الذي يقع على الأنبياء والصالحين، وقد تعرض له كل داعية إلى الله –عز وجل–، وما أرسل الله نبيا ولا هيّأ مُصلِحا إلا اتُّهم. وما وُجدت دعوة إلى الله ولا جماعة تسعى لإقامة شرع الله إلا اتُّهمت، " فالدعوة والتهمة سنّتان من سنن الله الجارية، فهذه سنة من السنن الشرعية، وتلك سنة من السنن الكونية والقدرية، وكلتاهما متآخيتان، كلما وجدت الدعوة رميت بالتهمة، يقول الله تعالى عن سننه الخالدة: {وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين}[الفرقان: 31]. وقوله سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ﴾[الأنعام: 112]، وكل من سلك طريق الأنبياء في الدعوة لابد وأن يلاقي ما لاقوه من التهم"[1]. فاتهام المؤمنين من سنة الابتلاء التي قدرها الله – عز وجل– على المؤمنين، على اختلاف أزمانهم وأعصارهم، وكما لحق الطعن بالأولين سيلحق الآخِرين، وكما كان في الماضي سيكون في الحاضر، بل والمستقبل.

وهذا الأذى الذي يصيب المؤمنين جراء ذلك يندرج في المكروه الموصل إلى الجنة، فلقد اقتضت حكمة الله سبحانه أن تكون الجنة محفوفة بالصعاب والمكاره، وأن يكون الطريق إليها مُجهِدا شاقا، قال الله تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾[البقرة: 214]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ"[2].

ومما يعين الإنسان على تحمل كل مشقة في سبيل الله، ومنها الاتهام بالباطل، ما يلي:

أولا: أن الله –عز وجل– حكم على جنس الإنسان أن يقاسي الصعاب والمشاق، وليس ذلك مقتصرا على المؤمنين، قال الله سبحانه: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾[البلد: 4]. قال أبو حيان:

---

[1] المغراوي، أبو سهل محمد بن عبد الرحمن: **موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية**. 10مج. ط1. (القاهرة: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع). 1420هـ–2000م. (ج10 ص208).

[2] **البخاري**: كتاب: الرقاق، باب: حجبت النار بالشهوات. (ج8 ص102). ح6487.

"و{في كبد}: يكابد مشاق الدنيا والآخرة، ومشاقه لا تكاد تنحصر من أول قطع سرته إلى أن يستقر قراره، إما في جنة فتزول عنه المشقات، وإما في نار فتتضاعف مشقاته وشدائده"[1].

ثانيا: أن البلاء مع وقوعه على الصنفين جميعا من المؤمنين والكافرين؛ إلا أنه في حق المؤمن تطهير من الذنوب ورفعة للدرجات، وفي حق الكافر عذاب في الدنيا قبل عذاب الآخرة، قال الله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾[آل عمران: 140-141]. قال البيضاوي: "{وليمحص الله الذين آمنوا} ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب إن كانت الدولة عليهم {ويمحق الكافرين} ويهلكهم إن كانت عليهم، والمحق نقص الشيء قليلا قليلا"[2]. وقال ﷺ: "مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ"[3].

ثالثا: تَذَكُّرُ أن هذه الدنيا على مهانتها وحقارة شأنها لا تُنال إلا بجهد وتعب، وواقع الناس خير دليل على ذلك، فكيف بالجنة التي قال الله فيها: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[آل عمران: 133]، وقال عنها: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[الزخرف:71]، وقال فيها النبي ﷺ في الحديث الذي يرويه عن ربه، يقول الله تعالى: "أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ"[4]. أليست الجنة أولى أن يعاني المسلم من أجل بلوغها؟!

---

[1] أبو حيان: **البحر المحيط.** (ج10 ص481).

[2] البيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل.** (ج2 ص40).

[3] **البخاري:** كتاب: المرضى، باب: ما جاء في كفارة المرض. (ج7 ص114). ح5641.

[4] (متفق عليه) **البخاري:** كتاب: بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة. (ج4 ص118). ح3244. مسلم: **صحيح مسلم.** كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها. (ج4 ص2174). ح2824.

المبحث الثاني

تشابه التهم قديما وحديثا

لو ذهب المسلم يقلب صفحات التاريخ، سيجد في أحداثه تشابها وتكرارا، ومما اشتهر على ألسنة الناس مقولة: "التاريخ يعيد نفسه"، وقد جاء في القرآن ما يؤيد هذا، قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾[الذاريات: 52-53]، فتمعن في التعبير الإلهي {أتواصوا به}، لقد كرروا جميعا هذه التهم على اختلاف أحقابهم وأماكن سكناهم، وكأنهم لشدة اتفاقهم عليها قد أوصى بعضهم بعضا بها، قال الرازي: "{أتواصوا به}: أي بذلك القول، وهو قولهم ساحر أو مجنون، ومعناه التعجيب، أي: كيف اتفقوا على قولٍ واحدٍ كأنهم تواطؤا عليه، وقال بعضهم لبعض: لا تقولوا إلا هذا"[1]. والصحيح أنهم لم يتواصوا، ولكنّ الطغيان الذي انتهجوه جميعا كان سببا في تشابه أقوالهم[2] {بل هم قوم طاغون}.

وقد سبق الكلام في مبحثي "التهمة بالسحر" و "التهمة بالجنون" عن الأسباب التي دعت المكذبين إلى نسبة ذلك إلى الأنبياء، فسبب الأولى أن الأنبياء جاؤوا بالمعجزات التي هي خرق للعادة على الحقيقة، والسحر خرق للعادة في الظاهر ولكنه في الحقيقة تخييل وخداع، وقد أيّد الله سبحانه جميع أنبيائه بالمعجزات، لذلك اتُّهموا جميعا بالسحر. وأما التهمة بالجنون فلأن الأنبياء كانوا يخبرون الناس بأن مَلَكا ينزل عليهم بكلام الله تعالى وأوامره، ويخبرونهم بحياة بعد الموت فيها ثواب وعقاب وجنة ونار، وهذا كله لا يُدرَك بالعقول، ولما كان خارجا عن المعقول والمعتاد، وليس هناك أمثلة يقاس عليها؛ نسبوا أصحابها إلى الجنون؛ فلأجل اتفاق الأنبياء في المعجزات والإخبار عن الغيبيات نُسب إليهم جميعا السحر والجنون.

ولعل قائلا يقول: ولكن الله سبحانه بيّن أن السبب هو الطغيان وليس ما ذُكر آنفا! فالجواب: لا تعارض بينهما، فالطغيان هو السبب الحقيقي، وما ذُكر من تفسير إنما هو بيان ما

---

[1] الرازي: **مفاتيح الغيب**. (ج28 ص191).

[2] انظر: الزمخشري: **الكشاف**. (ج4 ص405).

علّلوا به تكذيبهم من غير اقتناع به، فمعجزات الأنبياء أقامت عليهم الحجة وأقنعتهم بلا شك: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ﴾[النمل: 14]، ولكن سبب اختيارهم لهاتين التهمتين ليسوّغوا تكذيبهم وهم يؤمنون بخلافه هو ما تم ذكره. مع التأكيد مرة أخرى أن السبب الأول والأكبر والأهم لتكذيب الأنبياء وأتباعهم من بعدهم هو الطغيان والاستكبار، قال الله سبحانه: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[البقرة: 87].

ومن الأمثلة الحية في أيامنا هذه على تشابه التهم بين الماضي والحاضر "التهمة بالإفساد في الأرض" أو في المصطلح المعاصر "الإرهاب"، فنرى أمريكا ومن دار في فلكها ينعتون الإسلام والمسلمين بالإرهاب والإرهابيين. ونحن نعلم بل والعالم بأسره يعلم تاريخ أمريكا الأسود في الإرهاب والإفساد في الأرض، بداية من قضائها على الهنود الحمر –سكان أمريكا الأصليين– وسيطرتهم على أرضهم[1]، مرورا بالقنبلتين النوويتين على هروشيما وناجازاكي في الحرب العالمية الثانية، انتهاء بحربها على فيتنام، ثم من بعد ذلك تدمير أفغانستان والعراق، وما تخلل ذلك من جرائم بشعة وانتهاك لحقوق الإنسان.

ثم بعد ذلك تزعم أنها شرطي العالم وحاميه من الفساد، وأنها تخشى على العالم من الإرهاب الإسلامي، وهي في أفعالها سوسة العالم، وأم الإرهاب وأبوه. وهذا يشبه تماما مقالة فرعون وملأه في موسى –عليه السلام– وقومه، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾[غافر: 26]، ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾[الأعراف: 127]، ففرعون المجرم السفاح يخشى على الناس من موسى ودعوته! وهو المفسد حقا، قال ابن كثير: "{وقال الملأ من قوم فرعون} أي: لفرعون {أتذر موسى وقومه} أي: أتدعهم ليفسدوا في الأرض، أي: يفسدوا أهل رعيتك ويدعوهم إلى عبادة ربهم دونك، يالله للعجب! صار هؤلاء يشفقون من إفساد موسى وقومه! ألا إن فرعون

[1] انظر: العكش، منير: **أميركا والإبادات الجماعية**. ط1. (رياض الريس للكتب والنشر). 2002م. ص18–19.

وقومه هم المفسدون، ولكن لا يشعرون"[1]، قال الله سبحانه: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[القصص: 4].

وهذا الأسلوب الذي انتهجه فرعون قديما وأمريكا حديثا من رمي الآخرين بما فيهم هم من الظلم والشر؛ هو واحد من الحيل الدفاعية التي يستخدمها المسيء لصرف الأنظار عن نفسه وتغطية مساوئه، فتجده يتهم الآخرين بما فيه، وينسب إليهم نقائصه، فيظن المستمعون أنه أبعد الناس عن ذلك، ويسمى هذا في علم النفس "الإسقاط" ويعرّف بأنه: "من الآليات الدفاعية النرجسية غير الناضجة، ويعني أن يقوم الشخص بإسقاط المشاعر والصفات الداخلية غير المقبولة لديه على الآخرين، وتوهّم أنها خارجية يتصف بها غيره وليست داخله"[2]. وهذا كما يقال في المثل: رمتني بدائها وانسلت[3].

وقد جاء في القرآن مشهد لهذا الإسقاط، وهو ما كان من امرأة العزيز تجاه يوسف –عليه السلام–، حيث أسقطت عليه تهمة التحرش بها فور رؤيتها لزوجها خلف الباب؛ لإبعاد التهمة عن نفسها، وقد كانت هي المتحرشة فعلا، قال الله تعالى: ﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[يوسف: 25].

ومن التهم التي تكررت تجاه الأنبياء قديما، وتتكرر في حق الدعاة حديثا: أنهم يقصدون بدعوتهم الملك والسيطرة على الناس، والمسلمون لا ينكرون أن من أهداف الأنبياء ومن بعدهم أتباعم من الدعاة والعاملين للإسلام تحكيم شرع الله سبحانه، وهذا لا يكون إلا بالحكم والرئاسة.

ورب قائل يقول: فإذا كان الأمر كذلك، فهذا يعني أن اتهام المكذبين والمعاندين للمؤمنين بذلك صحيح. والجواب: كلا، ليس صحيحا. لأن المكذبين يقصدون بالتهمة أن المؤمنين يريدون

---

[1] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**. (ج3 ص459).

[2] الشربيني، لطفي عبد العزيز: **معجم مصطلحات الطب النفسي**. تحرير: مركز تعريب العلوم الصحية. (مؤسسة الكويت للتقدم العلمي). ص144.

[3] انظر: الضبي، المفضل بن محمد (ت 168هـ): **أمثال العرب**. ط1. (بيروت: دار ومكتبة الهلال). 1424هـ. (ص47).

الحكم للرفعة والجاه، ولتحقيق مآرب خاصة، وليس الأمر كذلك، فمقصدهم ليس شخصيا ولكن ديني وهو تحكيم شرع الله تبارك وتعالى.

وقد تقدم في "التهمة بالسعي وراء السلطة والملك"[1] أن نوحا وموسى ومحمد –عليهم الصلاة والسلام– تم اتهامهم بذلك، وأزمان هؤلاء الأنبياء متباعدة، كما هو معروف، مما يؤكد تشابه التهم بين أزمان متباعدة وبين ماض وحاضر، ويرجع ذلك إلى أن المكذبين للرسل عامتهم من الأشراف والسادة –كما مر[2]–، فلخوفهم على جاههم ومكانتهم نسبوا هذه التهمة للأنبياء.

وفي هذا العصر الذي نعيش وقبله، وفي كل قطر من أقطار العالم يُتهم الدعاة بذلك، بل ويحارَبون لأجله من قبل الحكومات المستبدة، لأن هذه الحكومات تعلم أن الإسلام جاء ليسود، وليحكم على الشريف والضعيف، والوزير والغفير، وليكون منهج حياة في المسجد وخارجه، وفي العلاقات الداخلية والخارجية، والمحلية والدولية، وليس كما عند النصارى "أعطوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله"[3]. وهذا ما لا يرضاه الرؤساء والحكام؛ لأن فيه حدا من نفوذهم، وتحجيم ممتلكاتهم، وسلب كثير من صلاحياتهم، قال سيد قطب وهو يخبر عن توالي هذه التهمة على ألسنة المحاربين للرسل ودعواتهم وأتباعهم على مرور الأزمان: "وإذن فهو الخوف من تحطيم معتقداتهم الموروثة، التي يقوم عليها نظامهم السياسي والاقتصادي، وهو الخوف على السلطان في الأرض، هذا السلطان الذي يستمدونه من خرافات عقائدهم الموروثة. إنها العلة القديمة الجديدة، التي تدفع بالطغاة إلى مقاومة الدعوات، وانتحال شتى المعاذير، ورمي الدعاة بأشنع التهم، والفجور في مقاومة الدعوات والدعاة، إنها هي (الكبرياء في الأرض) وما تقوم عليه من معتقدات باطلة يحرص المتجبرون على بقائها متحجرة في قلوب الجماهير، بكل ما فيها من زيف، وبكل ما فيها من فساد، وبكل ما فيها من أوهام وخرافات"[4].

---

[1] انظر: ص67.

[2] انظر: ص67.

[3] **الكتاب المقدس**: إنجيل مرقس (12: 17).

[4] قطب: **في ظلال القرآن**. (ج3 ص1814).

المبحث الثالث

التهم في ظل العصر الحديث

يشهد العالم في هذا الوقت تقدما علميا رهيبا، تصحبه عجلة تطور سريعة في صناعة أجهزة الاتصال والبرامج، الأمر الذي جعل حياة الناس أسهل، وقدم لهم خدمة كبيرة في كل المجالات، ولكن هذا التطور كان له وجه آخر مظلم، فقد وجد فيه الأشرار والمفسدون ضالتهم المنشودة في تحقيق مآربهم، وسهّل عملهم في الإضلال والإفساد في الأرض.

والمرء عندما يقول ذلك لا يقصد لوم العلماء والباحثين والمخترعين، فالإسلام يبارك كل عمل فيه الخير والنفع للناس، وليس الذم متجها إلى هذا التطور وما جاءنا به من الآلات والاختراعات، فهذه مجرد وسائل. والوسائل في ديننا لها حكم المقاصد كما هو معلوم. ولكن الخلل في نفوس البشر، فأكثرهم فاسقون، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾[الانعام: 116].

فمع الإقرار بجميع ما توفره هذه البرامج الحديثة من إيجابيات ومحاسن، إلا أنها تضمنت كثيرا من السلبيات التي تنذر بالخطر الشديد، ومن ذلك مما له علاقة بهذه الدراسة: زيادة إمكانية التزوير والخداع والتلاعب بالمعلومات بصورة متقنة، تجعلك لا تميز بين الحق والباطل وبين الصواب والخطأ. فثمّة برامج تستطيع تركيب أعضاء إنسان على جسد إنسان آخر، أو انتزاع صورة شخص دون التلاعب بها ولكن وضعها في محيط زائف لا تنتمي إليه، بل هناك برامج تجعل صوت الرجل يُسمع عند الطرف الآخر كصوت امرأة أو العكس، إلى غير ذلك.

ومما يدل على حجم الإمكانيات التي تتيحها هذه البرامج في التلفيق والتزوير، أن التسجيلات المسموعة والمرئية باتت غير معترف بها في المحاكم كدليل يمكن الاعتماد عليه في إدانة المتهم، وأقصى ما هنالك أنه يستأنس بها، ولا تكفي لوحدها في الإثبات.

ومع القول إنه لا وزن كبير لهذه الصور المفبركة والأفلام المرئية المزورة في المحاكم، ولكن هذا لا يعني الاستهانة بها، فقد تقدم الكلام[1] بأن التهم التي تكون بصيغة خبر فقط؛ مقبولة مستساغة عند كثير من الناس، فكيف إذا كانت مدعّمة بالصوت والصورة؟!

فتأمل حجم الفتنة التي صارت تكتنفها التهم مع هذه الإمكانيات الهائلة في قلب الحقائق، وهذا الخطر لا يقتصر على الأفراد وأعراضهم؛ بل يهدد الجماعات والدول والأفكار والعقائد، فيمكن تسخيره للطعن في كل هذه المجالات.

وهذا الذي تقدم بات من أقوى الأسلحة التي يُحارب بها المسلمون في هذا الزمان، فالحكومات المعادية للإسلام لا تدخر جهدا في تخويف الناس من سيطرة الإسلام وحكم الشريعة، ويستعينون على ذلك بالتهم الباطلة التي تكون تارة بإثارة الشبهات حول الإسلام ونبي الإسلام، كما فعلت الصحف والجرائد من نشر الرسومات المسيئة بحق النبي ﷺ، وتارة تكون بنسبة كل تفجير وتخريب في العالم إلى المسلمين...

ولا ننسى الدور الخبيث الذي يقوم به الإعلام الموَجَّه والمضلِّل من ترويج وتسويق لهذه الأفكار، وخاصة شركات صناعة الأفلام، فتجد شخصية الإرهابي غالبا ما تكون صورة المسلم صاحب اللحية والعمامة، وهذا شديد الشبه بالصورة التي اخترعها الأمريكان عن الهنود الحمر– سكان أمريكا الأصليين – حيث صوروا الهندي برجل بربري يضع على رأسه ريشتين ويحمل بلطة ويركب حصانا أبيض وأسود ويهجم صائحا، فيخاف المشاهد من هذا "المتوحش" ويتمنى موته، وتبين لاحقا أن هذا هو الضحية، والمتوحش هو من صوّره بهذه الصورة[2].

فبهذه الطريقة وغيرها يُجَيّشون الجيوش ضد المسلمين، ويستقطبون الرأي العام لصالحهم، ويظهرون في مظهر الناصح الأمين، تماما كما فعل فرعون، قال الله سبحانه حكاية عنه: ﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾[غافر: 29].

---

[1] انظر: ص94.

[2] انظر: العكش، منير: **أميركا والإبادات الجماعية**. الفصل الثالث: من المتوحش؟ ص57.

وإن من أوجب الواجبات على المسلمين الذب عن حياض الإسلام في هذا الزمان، وإعداد العدة للتصدي لهذه الحرب الفكرية، وذلك يكون على جميع الأصعدة؛ من إنشاء مراكز أبحاث تُعنى برصد ما يقال عن الإسلام في كل مكان، وتهيئة باحثين متخصصين في الرد على ما يثار عنه من شبهات، ثم العناية الشديدة والاهتمام البالغ بالجانب الإعلامي بكل وسائله وأدواته، فقد صار له دور كبير في تحقيق الأهداف بشكل عام، ودور أكبر في تحقيق أهداف الحروب وتغيير مجرياتها بشكل خاص.

وهذا من باب الإعداد الذي أمر الله سبحانه به في كتابه، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[الأنفال: 60]. فيجب إعداد القوة المؤثرة التي يتطلبها الوقت والعصر، ولئن كانت القوة قديما في الأسلحة البدائية من السيف والرمح والسهم والسكين والشعر، فقد صارت في هذا الزمان شيئا آخر من الطائرات والدبابات والسفن والغواصات، قال صاحب المنار: "فالواجب على المسلمين في هذا العصر بنص القرآن صنع المدافع بأنواعها والبنادق والدبابات والطيارات والمناطيد وإنشاء السفن الحربية بأنواعها، ومنها الغواصات التي تغوص في البحر، ويجب عليهم تعلم الفنون والصناعات التي يتوقف عليها صنع هذه الأشياء وغيرها من قوى الحرب بدليل: ما لا يتم الواجب المطلق إلا به فهو واجب"[1]. ومن ذلك أيضا أدوات الحرب الإعلامية.

وربما يرد اعتراض هنا من أن المقصود هو القوة الحربية المادية وليس منها قوة الإعلام، وهذا اعتراض خاطئ. فقد كان النبي ﷺ يحارب أعداءه باللسان كما يحاربهم باليد، وذلك عن طريق الشعر الذي يشبه الكلام الإعلامي اليوم في الرفع والخفض، والمدح والذم للأشخاص والأفكار والشعوب، فعن أنس بن مالك –رضي الله عنه– "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ مَكَّةَ فِي عُمْرَةِ القَضَاءِ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ يَمْشِي وَهُوَ يَقُولُ:

خَلُّوا بَنِي الكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ * اليَوْمَ نَضْرِبْكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ

ضَرْبًا يُزِيلُ الهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ * وَيُذْهِلُ الخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

[1] رضا: **تفسير المنار**. (ج10 ص53-54).

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا ابْنَ رَوَاحَةَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَفِي حَرَمِ اللهِ تَقُولُ الشِّعْرَ؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خَلِّ عَنْهُ يَا عُمَرُ، فَلَهِيَ أَسْرَعُ فِيهِمْ مِنْ نَضْحِ النَّبْلِ"[1]. وفي صحيح مسلم من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: "اهْجُوا قُرَيْشًا، فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ"[2].

فالنبي ﷺ يقول عن الشعر هو أسرع فيهم من نضح النبل، وقد فسر هو بنفسه القوة في آية الأنفال {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة} بأنها الرمي -نضح النبل-، فعن عقبة بن عامر قال: "سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ، يَقُولُ: "{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} [الأنفال: 60]، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ"[3]. فكما أن العدو يتأثر بالنبل، فهو يتأثر أيضا بالشعر، وربما كان أكثر إيلاما في بعض المواقف.

فهذا يدل على أن الشعر من أهم ما يجب إعداده لمحاربة الكافرين، فالقوة هي الرمي، والشعر أشد نكاية من الرمي بنص كلام النبي ﷺ، والإعلام اليوم يقوم مقام الشعر في الزمن القديم، فهل يقال بعد ذلك: ليس الجانب الإعلامي مما أمرنا بإعداده، ولا دلالة عليه في قول الله سبحانه: {وأعدوا}! بل إن واجب الوقت وفقه المرحلة يتطلب منا بذل وسعنا واستفراغ طاقتنا في هذا الجانب، فله دور لا يُستهان به في نصرة الإسلام والمسلمين.

---

[1] الترمذي: **جامع الترمذي**. أبواب: الأدب. باب: ما جاء في إنشاد الشعر. (ج4 ص436). ح2847. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وصححه الشيخ الألباني: انظر [الترمذي، محمد بن عيسى (ت 279هـ): **مختصر الشمائل المحمدية**. اختصره وحققه محمد ناصر الدين الألباني. (عمان: المكتبة الإسلامية). ص131].

[2] مسلم: **صحيح مسلم**. كتاب: فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه. (ج4 ص1935). ح2490.

[3] مسلم: **صحيح مسلم**. كتاب: الإمارة، باب: فضل الرمي والحث عليه، وذم من علمه ثم نسيه. (ج3 ص1522). ح1917.

الخاتمة:

1. أظهرت الدراسة تنوع التهم بحق الأنبياء والصالحين، ما بين تهم فكرية وجسدية وأخلاقية، وكان أكثرها ورودا هي التهم الأخلاقية (الزنا، والسرقة، والكذب، والتآمر، والاستهزاء، والنفعية، والسذاجة، والإفساد في الأرض، والسرقة العلمية، والسعي وراء السلطة والملك).

2. جميع التهم على اختلافها مردودة إما بالنصوص من القرآن والسنة، أو بالمنطق العقلي، أو بشهادة الكافرين أنفسهم، أو بالواقع المشاهد أو بأكثر من واحدة مما ذُكر.

3. النبي محمد ﷺ أكثر من نسبت إليه التهم من بين الأنبياء والصالحين، فنسب إليه: (السحر، والجنون، والكهانة، والكذب، والضلال، والشعر، والسعي وراء السلطة، والسذاجة، والسرقة العلمية). وذلك لأن القرآن نزل عليه، وقد كان الرد على التهم الموجهة إليه أوضح وأبلغ وأقوى من غيره، لأن معرفتنا بسيرته وحياته وأقواله وأفعاله شبه كاملة، أما غيره من الأنبياء فمعلوماتنا عنهم قليلة شحيحة.

4. تعدَّدَ المتَّهِمون للأنبياء والصالحين ما بين ملك تجاه نبي (كفرعون مع موسى)، أو من الكافرين العوام تجاه أنبيائهم (نوح وهود وصالح وشعيب ويوسف ومحمد)، أو من القوم المصدقين بالنبي تجاه نبيهم (بنو إسرائيل مع موسى)، أو من الكافرين تجاه المؤمنين (قوم لوط مع آل لوط، وكفار مكة مع أبي بكر الصديق)، أو من المنافقين تجاه المؤمنين (أبي بن سلول مع عائشة، والمنافقون مع المتصدقين من أصحاب النبي ﷺ).

5. العجب من بني إسرائيل –باعتبار أنهم يؤمنون بكتاب سماوي– كيف أكثروا من اتهام الأنبياء والصالحين وعلى رأسهم نبيهم موسى –عليه السلام–، فقد جاء على لسانهم التهمة (بالكفر والسحر في حق سليمان، والزنا في حق مريم، والاستهزاء والعيب الجسدي في حق موسى) جاء كل ذلك منهم!

6. تمتاز التهم بكثرة قبولها وسرعة انتشارها، فمعظم الناس لا يبالون بصحتها فيسارعون إلى نقلها، وهذا يعني انتشار الأخبار الكاذبة، مما يعطي صورة مغايرة للأشخاص المتَّهمين

زورا، وذلك يجر إلى مفاسد عديدة من الغيبة والنميمة والحقد، ثم الخصام والاقتتال وغير ذلك.

7. تعتبر التهم عاملا خطيرا في حياة المسلمين من جهة تشويه سمعة دينهم وتنفير الناس منهم، وما يتبع ذلك من مقاطعتهم والتحالف ضدهم، ناهيك عن ما يسببه ذلك من الفرقة والتدابر بينهم، خاصة إذا كان ذلك صادرا عنهم في حق بعضهم بعضا، فمنتهى الخطورة والجهل أن يصدق المسلمون ويرددوا أقوال المتربصين بالإسلام الدوائر.

8. اتهام الإنسان بما هو بريء منه نوع من أنواع الأذى الذي يجب أن يقابَل بالصبر، وهكذا كان رسل الله سبحانه وعلى رأسهم نبينا ﷺ. والصبر لا غنى للمسلم عنه في جميع تقلباته مع هذه الحياة، فهي دار شقاء وعناء، بل لا دخول للجنة إلا به لأنه مطلوب في كل أمور الدين.

9. عُلم من هذه الدراسة أن التهم الباطلة التي تنسب إلى المؤمنين وما يصيبهم جراءها من أذى في أعراضهم؛ هو سنة من سنن الله القدرية، لم يسلم منها أحد من حاملي لواء التوحيد والدعوة إلى الله، من لدن نوح –عليه السلام– إلى محمد ﷺ من أنبياء وصالحين، وما زالت التهم الباطلة مستمرة مستعرة بحق المسلمين إلى يومنا هذا، بل وحتى قيام الساعة.

10. عُلم كذلك أن التهم التي وُجهت إلى الدعاة من رسل وأتباعهم تشابهت رغم اختلاف العصور والأعراف، فدعوات الأنبياء متفقة في الأصول، ولذلك كانت ردود الكافرين متشابهة، بالإضافة إلى أن الحامل على التكذيب واحد وهو الطغيان والاستكبار، ولا ننسى أن المعلم المُوَسْوِسَ واحد عبر التاريخ، وهو الشيطان الرجيم مما جعل "الكفر ملة واحدة".

التوصيات:

1. على الدعاة أن يهتموا بجانب الاخلاق كثيرا، فأكثر ما يعابون به –مع براءتهم منه غالبا– هو الجانب الأخلاقي.

2. ينبغي الالتزام بالمنهج الرباني السليم في نقل الأخبار، حيث يشترط بالدرجة الأولى أن تكون صحيحة صادقة. وعدم ترداد كل كلمة تقال هنا وهناك، ثم الحذر من سوء الظن الذي هو الشرارة الأولى لكثير من الافتراءات والتهم الباطلة.

3. للتهم تأثير كبير على الدعاة إلى الله، فهم بشر يحزنون ويُجرحون ويتأثرون بما ينسب إليهم من العيب والنقص وهم برآء منه، فعليهم أن يعُدّوا العدة الروحانية التي أوصى الله – عز وجل– بها؛ ليصمدوا أمام هذه الإرجافات الآثمة التي يثيرها المغرضون.

4. إن من حسن تدبير المسلم أن يتجنب ما يفضي إلى اتهامه والطعن فيه، فتجنب الوقوع في الإشكال أسهل بكثير من معالجته بعد وقوعه.

5. أظهرت الدراسة أن منهج القرآن هو الإجابة عن التهم، والرد على الشبهات، حتى لا يُفهم من السكوت أن الحق مع المتَّهِم أو الطاعن. وذلك مطّرد في القرآن إلا في حالات خاصة لها أسبابها وقد تم إيضاحها، والعبرة للغالب الشائع لا للقليل النادر. وهذا يدل على ما يجب فعله تجاه ما يُوَجه للإسلام من شبهات، وهو دحضها وتفنيدها.

6. مما تقرر أن أمر التهمة والإشاعة بات أخطر لما استجد في هذا الزمان من أدوات ووسائل لبّست على الناس الحق والباطل، فقلبت المعايير وغيرت الحقائق، مما يفرض على المسلمين مواكبة هذا التطور، وقد أمرنا الله بالإعداد، ولا شك أن الإعداد الإعلامي منه، مع التأكيد على أن من أهم أدوات الحرب اليوم؛ الشبكات الإلكترونية، والأقمار الصناعية، والأجهزة، والبرامج والإعلام، وهذا ما يجب التركيز عليه وصرف الجهود فيه، فليس من الحكمة أن نخوض حربا جديدة بهذه الكيفية بأدوات بائدة عفا عليها الزمن.

فهرس الآيات القرآنية

9	البقرة	﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾	214	105
10	آل عمران	﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾	133	106
11	آل عمران	﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾	140−141	106
12	آل عمران	﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ جَآءُو بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ﴾	184	51
13	النساء	﴿ وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾	112	11
14	النساء	﴿ وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا﴾	156	10، 42
15	المائدة	﴿لَقَدۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ رُسُلٗاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ فَرِيقٗا كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ﴾	70	50
16	الأنعام	﴿وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ﴾	26	82
17	الأنعام	﴿قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾	33	85
18	الأنعام	﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ	34	51

		جَاءَكَ مِن نَّبَإِي الْمُرْسَلِينَ ﴾		
19	الأنعام	﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾	112	105
20	الأنعام	﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾	116	111
21	الأعراف	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩) قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٦٠) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٦١) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٢) أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾	63-59	29، 30، 31، 55، 101
22	الأعراف	﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾	66	50
23	الأعراف	﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾	90	55
24	الأعراف	﴿قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾	109	55
25	الأعراف	﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (١١٣) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾	114-113	63
26	الأعراف	﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾	123	62

27	الأعراف	﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾	127	،60 108
28	الأعراف	﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾	184	،24 100
29	الأنفال	﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ □ رَمَىٰ ۚ﴾	17	11
30	الأنفال	﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾	60	،112، 116
31	التوبة	﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	47	71
32	التوبة	﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾	58	،68 ،69 102
33	التوبة	﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ﴾	61	،38 ،40 102
34	التوبة	﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	79	71 ،70
35	يونس	﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴾	2	19
36	يونس	﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا	77	100

		يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴾		
55	78	﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ﴾	يونس	37
91	29	﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾	هود	48
21	54-53	﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ٥٣ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴾	هود	39
32	62	﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ﴾	هود	40
32	87	﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾	هود	41
2، 88	120	﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾	هود	42
42	23	﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾	يوسف	43
42، 109	25	﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾	يوسف	44
42، 43	27-26	﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ	يوسف	45

		مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾		
46	يوسف	﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴾	28-29	43، 100
47	يوسف	﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾	51	43، 100
48	يوسف	﴿ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾	77	48، 101
49	يوسف	﴿ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾	104	91
50	يوسف	﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾	110	51
51	الرعد	﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾	23-24	95
52	الرعد	﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾	28	87
53	الحجر	﴿ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾	6	23، 86
54	الحجر	﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾	95	86
55	الحجر	﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾	97	85
56	الحجر	﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾	98	87
57	النحل	﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ	25	44

		ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾		
58	النحل	﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ﴾	103	59، 101
59	الإسراء	﴿ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ﴾	27	27
60	الإسراء	﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾	36	77
61	الإسراء	﴿ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴾	47	19
62	الإسراء	﴿فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ﴾	101	19
63	الكهف	﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾	6	87
64	مريم	﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴾	26	43
65	مريم	﴿فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴾	28-27	43
66	مريم	﴿فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴾	30-29	43، 101
67	مريم	﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ﴾	68	28
68	طه	﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن	70-65	21

		سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ٦٦ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ٦٧ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٦٨ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ٦٩ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾		
62	71	﴿قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ ﴾	طه	69
96	130	﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴾	طه	70
38 ،34	5	﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ ﴾	الأنبياء	71
93	79-78	﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾	الأنبياء	72
88	87	﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	الأنبياء	73
55	24	﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾	المؤمنون	74
27	98-97	﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ٩٧ وَأَعُوذُ	المؤمنون	75

		بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾		
11	4	﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ﴾	النور	76
11	6	﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ ﴾	النور	77
10، 42، 54	11	﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾	النور	78
101	13	﴿ لَّوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾	النور	79
76	15	﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾	النور	80
10	16	﴿ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾	النور	81
48	23	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾	النور	82
57	5-4	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (٤) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾	الفرقان	83
58، 101	6	﴿ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾	الفرقان	84
19	8	﴿ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾	الفرقان	85
88	32	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ	الفرقان	86

		كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾		
91	57	﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴾	الفرقان	87
17	19	﴿وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾	الشعراء	88
62	22	﴿وَتِلۡكَ نِعۡمَةٞ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنۡ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾	الشعراء	89
21	27	﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ﴾	الشعراء	90
63	53	﴿ فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾	الشعراء	91
91	109	﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	الشعراء	92
19، 20	153	﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴾	الشعراء	93
20	154	﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾	الشعراء	94
19	185	﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴾	الشعراء	95
20، 50	186	﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾	الشعراء	96
26، 99	210–212	﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ (٢١٠) وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ (٢١١) إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ﴾	الشعراء	97
27	221–223	﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ (٢٢٢) يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ﴾	الشعراء	98
37، 101	224–226	﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ (٢٢٤) أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ ﴾	الشعراء	99
108	14	﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ ﴾	النمل	100

17	40	﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾	النمل	101
91	65	﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾	النمل	102
109	4	﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾	القصص	103
50	38	﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾	القصص	104
36، 101	48	﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾	العنكبوت	105
26	4-2	﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾	الروم	106
53	37	﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾	الأحزاب	107
14، 72، 101	69	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾	الأحزاب	108
23	8-7	﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى	سبأ	109

		ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ﴿		
110	فاطر	﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ ﴾	8	87
111	فاطر	﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾	9	23
112	يس	﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ﴾	69	،35 101
113	يس	﴿قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ﴾	79	23
114	الصافات	﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ﴾	36	34 ،24
115	ص	﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴾	4	50 ،19
116	ص	﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ﴾	6	97 ،56
117	ص	﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾	17	96
118	ص	﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾	44	97
119	ص	﴿ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ﴾	86	91
120	الزمر	﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾	10	95
121	غافر	﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ﴾	26	،60 ،61 108
122	غافر	﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴾	28	100
123	غافر	﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾	29	112
124	فصلت	﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ	26	82

		لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾		
125	الشورى	﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾	52	31
126	الزخرف	﴿أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوۡلَآ أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٞ مِّن ذَهَبٍ أَوۡ جَآءَ مَعَهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾	52–54	81
127	الزخرف	﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾	71	106
128	الأحقاف	﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾	35	104
129	الحجرات	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾	6	78
130	الحجرات	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾	12	78
131	ق	﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾	2–3	22
132	الذاريات	﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾	52	1، 18، 21، 107
133	الذاريات	﴿أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ﴾	53	107
134	الطور	﴿فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ﴾	29	26

135	الطور	﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾	30	34
136	الطور	﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾	40	92
137	النجم	﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾	4-2	31، 101
138	القمر	﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ﴾	9	21، 50
139	القمر	﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾	25	50
140	الصف	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾	5	97
141	الطلاق	﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾	12	91
142	التحريم	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	1	53
143	القلم	﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾	2	24
144	القلم	﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾	48	88
145	القلم	﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾	51	24
146	الحاقة	﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ﴾	9	10
147	الحاقة	﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾	41	34، 101
148	الحاقة	﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾	42	26
149	الحاقة	﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾	46-44	53، 100
150	نوح	﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ	27-26	80

		دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾		
155	الجن	﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾	9	27
156	المدثر	﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ □ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾	25–11	19
157	الإنسان	﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾	9	68
158	عبس	﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾	10–5	53
159	التكوير	﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾	22	24
160	التكوير	﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾	25	27
161	المطففين	﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾	32	34
162	البلد	﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾	4	105
163	الليل	﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾	21–17	،67 102
164	الضحى	﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾	7	31

فهرس الأحاديث النبوية

قائمة المصادر المراجع

1. العظيم آبادي، محمد أشرف بن أمير(1329هـ): **عون المعبود شرح سنن أبي داود**. (بيروت: دار الكتب العلمية). 1415هـ.

2. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت 630هـ): **أسد الغابة في معرفة الصحابة**. (بيروت: دار الفكر). 1409هـ-1989م.

3. ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات (ت 606هـ): **النهاية في غريب الحديث والأثر**. تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي. (بيروت: المكتبة العلمية). 1399هـ-1979م.

4. أحمد، أبو عبد الله (ت241هـ): **المسند**. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون. ط1. (مؤسسة الرسالة). 1421هـ-2001م.

5. ابن باديس، عبد الحميد محمد بن باديس (1359هـ): **مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**. تحقيق: أحمد شمس الدين. ط1. (بيروت: دار الكتب العلمية). 1416هـ-1995م.

6. البخاري، محمد بن إسماعيل (ت 256هـ): **صحيح البخاري**. ط1. (دار طوق النجاة). 1422هـ.

7. البغوي، الحسين بن مسعود (ت 510هـ): **معالم التنزيل في تفسير القرآن**. 5 مج. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. ط1. (بيروت: إحياء التراث العربي). 1420هـ.

8. البقاعي، إبراهيم بن عمر: **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**. 22 مج. (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي).

9. البكري، عبد الله بن عبد العزيز (ت 487هـ): **فصل المقال في شرح كتاب الأمثال**. تحقيق وتقديم: إحسان عباس وعبد المجيد عابدين. (دار الأمانة ومؤسسة الرسالة). 1391هـ-1971م.

10. البنا، حسن أحمد عبد الرحمن (ت 1368هـ): **نظرات في كتاب الله**. (القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية). 1423هـ-2002م.

11. البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر (ت 685هـ): **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**. تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. ط1. (بيروت: دار إحياء التراث العربي). 1418هـ.

12. الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة (ت 279هـ): **جامع الترمذي**. تحقيق: بشار عواد معروف. (بيروت: دار الغرب الإسلامي) 1998م.

13. الترمذي، محمد بن عيسى (ت 279هـ): **مختصر الشمائل المحمدية**. اختصره وحققه محمد ناصر الدين الألباني (عمان: المكتبة الإسلامية).

14. الثعالبي، عبد الملك بن محمد (ت 429هـ): **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**. (القاهرة: دار المعارف).

15. الثعالبي، عبد الملك بن محمد (ت 429هـ): **الظرائف واللطائف**. جمع: أبو نصر المقدسي. تحقيق: ناصر محمدي محمد جاد. (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية) (1430هـ-2009م).

16. الثعالبي، عبد الملك بن محمد (ت 429هـ): **فقه اللغة وسر العربية**. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. ط1. (إحياء التراث العربي). 1422هـ-2002م.

17. ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد (ت 833هـ): **النشر في القراءات العشر**. 1مج. ط2. (بيروت: دار الكتب العلمية). 1423هـ-2002م.

18. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت 597هـ): **غريب الحديث**. ط1. (بيروت: دار الكتب العلمية). 1405هـ-1985م.

19. ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت 852هـ): **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. (بيروت: دار المعرفة). 1379هـ.

20. ابن حجر، امرؤ القيس (ت 545هـ): **ديوان امرئ القيس**. ط2. تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي. (بيروت: دار المعرفة) 1425هـ-2004م.

21. الحربي، إبراهيم بن إسحاق (ت 285هـ): **غريب الحديث**. تحقيق: سليمان إبراهيم محمد العايد. ط1. (مكة المكرمة: جامعة أم القرى) 1405هـ.

22. عبد بني الحسحاس، سحيم عبد بني الحسحاس: **ديوان سحيم عبد بني الحسحاس**. تحقيق: عبد العزيز الميمني. (القاهرة: دار الكتب المصرية). 1369هـ-1950م.

23. الحميدي، محمد بن فتوح (ت 488هـ): **تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم**. تحقيق: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز. ط1. (القاهرة: مكتبة السنة) 1415هـ-1995م.

24. أبو حيان، محمد بن يوسف (ت 745هـ): **البحر المحيط**. تحقيق: صدقي محمد جميل. ط1. (بيروت: دار الفكر). 1420هـ.

25. الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم (ت 388هـ): **غريب الحديث**. تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي. (دار الفكر). 1402هـ-1982م.

26. أبو داود: سليمان ابن الأشعث. **سنن أبي داود**. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. ومذيل بحكم الألباني. (بيروت: المكتبة العصرية).

27. دراز، محمد بن عبد الله (ت 1377هـ): **النبأ العظيم**. (دار القلم للنشر والتوزيع). 1426هـ-2005م.

28. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر (ت 606هـ): **مفاتيح الغيب**. ط3. (بيروت: دار إحياء التراث العربي). 1420هـ.

29. الرازي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت 666هـ): **مختار الصحاح**. تحقيق: يوسف الشيخ محمد. ط5. (بيروت: المكتبة العصرية). 1420هـ-1999م.

30. الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل (ت 502هـ): **معجم مفردات ألفاظ القرآن**. تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي. (بيروت: دار الفكر). 1429هـ-2009م.

31. ابن رجب، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد (ت 795هـ): **جامع العلوم والحكم**. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. ط7. (بيروت: مؤسسة الرسالة). 1422هـ-2001م.

32. رضا، محمد رشيد: **تفسير المنار**. 12 مج. (الهيئة المصرية العامة للكتاب). 1990م.

33. الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق (ت 1205هـ): **تاج العروس**. (دار الهداية).

34. الزركشي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت 794هـ): **البرهان في علوم القرآن**. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط1. (دار إحياء الكتب العربية). 1376هـ-1957م.

35. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت 538هـ): **الكشاف**. 4 مج. ط3. (بيروت: دار الكتاب العربي). 1407هـ.

36. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت 1376هـ): **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. 1مج. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. ط1. (مؤسسة الرسالة). 1420هـ-2000م.

37. أبو السعود، محمد بن محمد (ت 982هـ): **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**. (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

38. ابن أبي سلمى، زهير بن أبي سلمى (ت 609م): **ديوان زهير بن أبي سلمى**. شرح وتقديم: علي حسن فاعور. ط1. (بيروت: دار الكتب العلمية)، (1408هـ–1988م).

39. السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد (ت 373هـ): **بحر العلوم**.

40. السنيكي، أبو يحيى زكريا بن محمد (ت 926هـ): **فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن**. تحقيق: محمد علي الصابوني. ط1. (بيروت: دار القرآن الكريم). 1403هـ–1983م.

41. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ): **الإتقان في علوم القرآن**. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب). 1394هـ–1974م.

42. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ): **الأشباه والنظائر**. ط1. (بيروت: دار الكتب العلمية). 1411هـ–1990م.

43. الشربيني، لطفي عبد العزيز: **معجم مصطلحات الطب النفسي**. تحرير: مركز تعريب العلوم الصحية. (مؤسسة الكويت للتقدم العلمي).

44. الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت 548هـ): **الملل والنحل**. 3 مج. (الناشر: مؤسسة الحلبي).

45. الشوكاني، محمد بن علي (ت 1250هـ): **فتح القدير**. ط1. (دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب). 1414هـ.

46. ابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة: **المصنف في الأحاديث والأثار**. تحقيق: كمال يوسف الحوت. ط1. (الرياض: مكتبة الرشد). 1409هـ.

47. الضبي، المفضل بن محمد (ت 168هـ): **أمثال العرب**. ط1. (بيروت: دار ومكتبة الهلال). 1424هـ.

48. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ): **جامع البيان في تأويل القرآن**. 24مج. تحقيق: أحمد محمد شاكر. ط1. (مؤسسة الرسالة). 1420هـ-2000م.

49. ابن عاشور، محمد الطاهر (ت 1393هـ): **التحرير والتنوير**، 30 مج. (تونس: الدار التونسية للنشر). 1984م.

50. ابن العبد، طرفة (ت 564م): **ديوان طرفة بن العبد**. ط3. تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين. (بيروت: دار الكتب العلمية). (1423هـ-2002م).

51. عبد الباقي، محمّد فؤاد (ت 1388هـ): **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**. (القاهرة: دار الحديث). 1422هـ-2001م.

52. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله (ت 463هـ): **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**. تحقيق: علي محمد البجاوي. ط1. (بيروت: دار الجيل). 1412هـ-1992م.

53. عبده، محمد عبده (ت 1323هـ): **رسالة التوحيد**. (دار الكتاب العربي).

54. ابن عطية، ابو محمد عبد الحق بن غالب (ت 542هـ): **المحرر الوجيز**. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. ط1. (بيروت: دار الكتب العلمية). 1422هـ.

55. العكش، منير: **أميركا والإبادات الجماعية**. ط1. (رياض الريس للكتب والنشر). 2002م.

56. العيني، أبو محمد بدر الدين محمود بن أحمد (ت 855هـ): **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**. (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

57. ابن فارس، أحمد: **معجم مقاييس اللغة**. 2 مج. ط2. (بيروت: دار الكتب العلمية). 1429هـ-2008م.

58. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت 170هـ): **العين**. تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. (دار ومكتبة الهلال).

59. الفيروزآبادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت 817هـ): **القاموس المحيط**. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. ط8. (بيروت: مؤسسة الرسالة). 1426هـ-2005م.

60. القاري، علي بن محمد (ت 1014هـ): **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، ط1. (بيروت: دار الفكر). 1422هـ-2002م.

61. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت 276هـ): **غريب الحديث**. تحقيق: عبد الله الجبوري. ط1. (بغداد: مطبعة العاني). 1397هـ.

62. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 671هـ): **الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام**. 1مج. تحقيق: أحمد حجازي السقا. (القاهرة: دار التراث العربي).

63. القرطبي، محمد بن أحمد (ت 671هـ): **الجامع لأحكام القرآن**. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. 10مج. ط2. (القاهرة: دار الكتب المصرية). 1384هـ-1964م.

64. القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن (465هـ): **لطائف الإشارات**. تحقيق: إبراهيم البسيوني. ط3. (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب).

65. قطب، سيد بن إبراهيم (ت 1387هـ): **في ظلال القرآن**. ط7. (بيروت: دار الشروق). 1398هـ-1978م.

66. ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر: **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**. تحقيق: إسماعيل بن غازي مرحبا. (دار عالم الفوائد).

67. ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت 751هـ): **مفتاح دار السعادة**. 2 مج. (بيروت: دار الكتب العلمية).

68. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت 774هـ): **تفسير القرآن العظيم**. 8مج. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. ط2. (دار طيبة). 1420هـ-1999م.

69. الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر: **البرهان في توجيه متشابه القرآن**. تحقيق: عبد القادر أحمد عطا. (دار الفضيلة).

70. لينكولن، أبراهام لينكولن (ت 1809م): **أبراهام لينكولن إرث من الحرية**. الناشر: وزارة الخارجية الأمريكية، مكتب برامج الإعلام الخارجي. 2008م.

71. ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني (ت 273هـ): **سنن ابن ماجة**. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (دار إحياء الكتب العربية).

72. ابن مرداس، العباس بن مرداس: **ديوان العباس بن مرداس السلمي**. ط1. جمع وتحقيق: يحيى الجبوري. (مؤسسة الرسالة). 1412هـ-1991م.

73. المراغي، أحمد بن مصطفى (ت 1371هـ): **تفسير المراغي**. ط1. (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده). 1365هـ-1946م.

74. ابن منظور، محمد بن مكرم (ت 711هـ): **لسان العرب**. ط3. (بيروت: دار صادر). 1414هـ.

75. مسلم، مسلم بن الحجاج (ت 261هـ): **صحيح مسلم**. 5 مج. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (بيروت: إحياء التراث العربي).

76. المغراوي، أبو سهل محمد بن عبد الرحمن: **موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية**. 10مج. ط1. (القاهرة: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع). 1420هـ-2000م.

77. النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد (ت 710هـ): **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**. تحقيق: يوسف علي بديوي. ط1. (بيروت: دار الكلم الطيب). 1419هـ-1998م.

78. النووي، يحيى أبو زكريا (ت 676هـ): **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**. ط2. (بيروت: دار إحياء التراث العربي). 1392هـ.

79. الهروي، محمد بن أحمد (ت 370هـ): **تهذيب اللغة**. ط1. تحقيق: محمد عوض مرعب (بيروت: دار إحياء التراث العربي). 2001م.

80. ابن هشام، أبو محمد عبد الملك (ت 213هـ): **السيرة النبوية**. 2مج. تحقيق: جودة محمد جودة. ط1. (القاهرة: دار ابن الهيثم). 1427هـ-2006م.

81. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: **الموسوعة الفقهية**. ط1. (الكويت: مطابع دار الصفوة). 1416هـ-1995م.

An- Najah National University

Faculty of Graduates Studies

Accusation of prophets and righteous

"Quranic study"

By

Abdallah Hasan Ahmad Aiash

Supervised by

Dr. Mohsen Alkhaldy

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Fundamentals of Islamic Law (Usol Al-Din), Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University, Nablus, Palestine.

2017

Accusation of prophets and righteous
"Quranic study"
By
Abdallah Hasan Ahmad Aiash
Supervision By
Dr. Mohsen Alkhaldy

Abstract

This study deals with the issue of accusations directed to prophets and righteous.

The study starts with defining the accusation linguistically and later showing the relevant expressions that are used in the Quran to present accusation such as lying, defamation. The expression "accusation" and its root are never mentioned in the Quran. Then, the study presents the types of accusations which are divided into three categories: ethical, intellectual and physical.

The study mentions the accusations presented in the Quran which are eighteen in number such as disbelieve, deviation, infidelity, theft, lying, augury, insanity and etc. In addition, the study states who places the accusation and who is placed with it and shows the reasons and motives for placing it. Then, the study presents the refutation to accusations by the Quran, Sunnah, The Common Sense or the existing reality of the relevant incident.

The study deals with showing the seriousness of accusation which is characterized by its high and fast spreading and the extent of believing and

accepting it by people. Later, it talks about the negative impact of accusation on Muslim callers because it discredits and hurts them. Consequently, the study deals with the effect of accusation on calling for God since it can be the reason for deporting many of its believers from religion.

The study shows that the Quran's approach of dealing with accusations is precaution to avoid committing it. Then the Quran commands of patience and prayers and mentioning God if accusations occur, then the importance of responding and refuting it to reveal the truth because keeping silent means accepting it by people.

The study makes it clear that accusation is a kind of divine hardship that hits believers in all ages and callers to God in specific but it rises them to higher and closer positions to God. The study mentions that accusations directed to believers are similar in the past and the present despite the differences in time and conditions, and that is because they are all based on the same motive which is tyranny.

At the end, the study presents accusations in the current time and shows how they are strengthened by stronger tools and increasing means which resulted in making them more dangerous than they used to be. Accusations have become one of the strongest weapons that fight Islam, which forces Muslims to fight them and investing all available tools to invalid them.